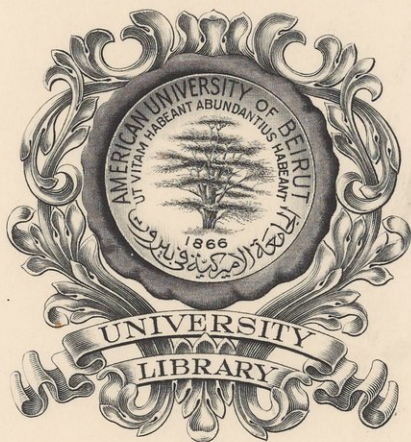


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





مكتبة الجامعة

امروز والقيصر

نقد وتحليل

892.71

I 34 Xkha



بقلم

رؤف فوري

خريج الجامعة الاميركية ، واستاذ الآداب العربية

في كلية الشرق بطرطوس

48335

مطبعة صادر - بيروت

١٩٣٤

Gift. Author. Cat. Sept. 1935

« كان امرؤ القيس من ادباء الملوك ، وكان
من اهل بيته وبني ابيه اكثر من ثلاثين ملكاً ،
فبادوا وباد ذكرهم ، وبقي ذكره الى يوم القيامة
وانما امسك ذكره شعره »

- دعل -

(كلمة نقلها الاستاذ معروف الرصافي
في احدى مقالاته عن الشعر - كتاب
سحر الشعر جمع رفائيل بطي ، طبع مصر
سنة ١٩٢٢ جزء ١ ص ١٠٥)

« حقوق الطبع محفوظة »

الاهداء

تمت هذه الفصول على سبيل الحديث لطلاب الأدب العربي في
كلية الشرق بطرطوس ، فليس احقّ بها منهم ومن مدرستهم الحسنة

ربف غوري

لائحة المصادر

- ديوان امرىء القيس ، مضمن في كتاب العقد الثمين في دواوين
الشعراء الستة الجاهليين ، تحقيق المستشرق W. Ahlwardt طبع لندن
الطبعة الاولى سنة ١٨٧٠
- ديوان امرىء القيس ، جمع حسن السندوبي ، طبع المطبعة الرحمانية ،
مصر ، سنة ١٩٣٢ ، وهو المصدر الذي عينا فيه الصفحات
الشيوعه وقرب متناوله .
- شرح المعلمات ، للزوزنى ، طبع مصر ، سنة ١٣٢٨ هـ
- == للتبريزي ، تحقيق المستشرق Sir Charles Lyall طبع
كلكتا سنة ١٨٩٤
- جمهرة اشعار العرب ، لابي زيد القرشي ، طبع المطبعة الرحمانية ،
مصر ، سنة ١٩٢٦ .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري ، طبعة محمد امين الخالجي ،
مصر ، سنة ١٣٢٢ هـ .
- طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، طبع مطبعة السعادة ، مصر سنة ؟
- الاغاني ، لابي الفرج الاصبهاني ، طبعة بولاق ، مصر ، سنة ١٨٦٨
- جزء ٨ خاصة .

العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، طبعة امين

هندية ، مصر ، سنة ١٩٢٥ .

العقد « الفريد » لابن عبد ربّه ، طبع المطبعة الازهرية ، مصر ،

سنة ١٩٢٨ ، جزء ٤ ص ٣٥٢ — ٣٥٣ خاصة .

المزهر للسيوطي ، طبع مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٣٢٥ هـ

خزانة الادب ، لعبد القادر البغدادي ، طبعة عيسى البابي الحلبي ،

مصر ، سنة ١٩٢٩ ، جزء ٢ خاصة .

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين بن نباتة ،

طبع محمد علي صبيح ، مصر ، سنة ؟

شعراء النصرانية ، جمع الاب لويس شيخو ، طبع الآباء اليسوعيين

بيروت ، سنة ١٩٢٥ ، جزء ١

رجال المعلقات العشر ، جمع الشيخ مصطفى الغلاييني ، طبع بيروت

سنة ١٢٣٢ هـ .

المعلقات العشر واخبار شعرائها ، جمع احمد الشنقيطي ، طبع المطبعة

الرحمانية ، مصر ، ١٣٤٥ هـ .

الموسوعة الاسلامية [Encyclopedia of Islam] ، مادة امرى .

القيس [Imru 'Ikais] ، غير موقعة . ومادة كندة ، للمستشرق

F. Krenkom

الموسوعة البريطانية « Encyc. Brit. ed. II » ، مادة معلقات

« Mo'allakat » للمستشرق نولدكي

دين امرى . القيس — مقال للاب انتاس الكرملي ، مجلة المشرق

مجلد ٨ ، سنة ١٩٠٥ ، ص ٨٨٦ . فما يلي .

مزدكية امرىء القيس مقال للاب لويس شيخو ، مجلة المشرق ،
مجلد ٨ ، سنة ١٩٠٥ ، ص ٩٩٨ فما يلي .

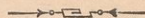
الروائع ، جمع فؤاد افرام البستاني ، طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت
سنة ١٩٢٧ ، جزء ٧ .

تاريخ العرب الادبي [Literay history of the Arabs] - lson,
Reynold Nichol ، طبع لندره ، سنة ١٩٢٣

في الادب الجاهلي ، للدكتور طه حسين ، طبع مطبعة الاعتماد ،
مصر ، سنة ١٩٢٢

ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، لبطرس البستاني ، طبع
بيروت ، سنة ١٩٣١

واستعملنا مصادر اخرى نشر اليها تامة في موضع استعمالها .



١ - كلمة في مصدري البحث

وجد امرؤ القيس ام لم يوجد ؟ صادقة هذه الاخبار عنه ام كاذبة
 ام هناك ما هو صادق وما هو كاذب ، وهل لنا سبيل الى تمييز الطرفين ،
 وما هي العناصر التي عملت على تعميق الحقيقة ؟ قال هذا الشعر ام لم يقله ؟
 نحل شيئاً ام ضاع له شيء ؟

هذا هو الدرس التاريخي الذي نحاوله في هذه الفصول ، الى جانب
 الدرس الفني للديوان المنسوب اليه . وما اشد ما يجب ان يكون تحذرننا ،
 ونحن امام خبط وخط كثير ، لا نولي وجهنا صوب رأي من الاراء الا
 اعترضنا رأي آخر ، ولا نعزم ان نسلك نجواً من الانحاء الا خشينا
 مزلق الطريق ، فحالنا ان نضل في قلق دائم لا يأخذنا القرار ولا نأخذ
 به . واي عجب ؟! ونحن انما نخترق اربعة عشر قرناً الى مجاهل الصحراء
 مستدلين برهط كحماد ، والفرزدق الشاعر ، والاصمعي ، وابن الاعرابي ،
 وابي عمر بن العلاء ، ومحمد بن حبيب ، وابي عبيدة ، وهشام بن الكلبي
 وابي سعيد السكري ، وابن قتيبة ، ودارم بن عقال من ولد السموأل ،
 والهيثم بن عدي ، ويعقوب بن السكيت ، وسيبويه عن الخليل بن احمد ،

والمفضل الضبي ، وابي عمرو الشيباني ، وغيرهم وغيرهم^(١) . وهو لاء الم يكونوا
يبعدون عن الشاعر بعدنا في الزمان والبيئة ، فهم يبعدون عنه ما لا يمكنهم
من رواية آثاره على الوجه الايقن ، ولا يمكننا من التسليم لهم في جميع
ما يروون . هذا اذا لم نحسب حساباً لنفوس تشعبتها العصبية ، ولم
تمكن تحسّ ما نحسّ من المسؤولية العلمية ، فحورت كثيراً وزورت
كثيراً — ولم نحسب حساباً لعقول استهوتها التلاوين القصصية ، او قل
اتخذت هذه التلاوين التي تستهوي الناس من عامة وخاصة حرفة
اللاتزاق ، فما استطاعت الا ان تتحرع ، وتعلن في الاختراع ، وتضيف
الى اولئك المناكيد الذين جعلتهم الشهرة مشغلة الافواه وملهاة الاسماع .
ولكن اليس لنا ما نستوي عليه غير هذه الارض المزلة المضطربة ؟
يزعمون ان الشاعر زار القسطنطينية في عهد الامبراطور بوسنيانوس ،
وكان له شأن في بلاط ملكها ، فلنسأل مؤرخي الروم لعل فيهم من
عرفه او عرف شيئاً عنه . نقول لا ، ونقول نعم ! انهم بذكرون اميراً
عربياً اسمه قيس ، فهل هو امرؤ القيس ، اسقطوا جزءاً من اسمه لانه
بذلك ينفّ لفظاً على السنتهم ، ويسهل تهجئة في لغتهم ؟ يجوز . على
انا اذ طالعنا ما يكتبون عن قيس هذا وجدنا اشياء لا نعهد لها عن
امريء القيس الذي في الرواية العربية . ودونك مختصر « فوطيوس »
لسفارة « نوز » الى الحبشة والحيريين وقبائل البادية ، كما ترجمه الاب
لوييسو شيخو :

(١) اجتهدنا ان نعدد اكثر الرواة الذين عنوا باشياء عن امريء القيس
كنسبه واخباره وشعره . وكان مستندنا في تعديدهم كتاب الاغانى ، ثم غيره
من كتب الادب كالمزهر للسيوطي ، ونزهة الالباء الأنباري ، وخزانة الادب
للبنغادي .

«وقرأت ايضاً خبر سفارة ننوز الى الحبشة والحميريين وقبائل البادية .
وكان يتولى هذه القبائل قيس ، حفيد الحارث ، وهو الحارث الذي
ارسل اليه الانتاس الامبراطور جد ننوز هذا ليعقد معه عهداً . كما ان
ابا ننوز المذكور ارسل الى المنذر ليفك من الاسر ، في ايام يوسطينوس
القائدين الرومانيين تيموستراتس ويوحنا . واما قيس ، الذي اوفد اليه
ننوز ، فكان يتولى امر قبيلتين عظيمتين كنده ومعد . وكان سبق
ننوز ابوه ، فجاء الى قيس سفيراً من قبل يوستنيان وضرب معه معاهدة ،
واخذ ابنه معاوية كرهن ، فجاء به الى بوزنطية عند يوستنيان . ثم عهد
هذا القيصر الى ننوز بان يواجه قيس ، ويأتي به الى الامبراطور ان
امكنه . فأتى ننوز اوامر القيصر ، وعاد سالماً الى بلده . ثم يذكر ننوز
ان ابراهيم اباه عاد ثانية الى قيس ، واقنعه بالقدوم الى بوزنطية ،
فقسم قيس ولايته على القبائل بين اخويه يزيد وعمرو ، ونال من
الامبراطور ولاية فلسطين ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه ^(١) .
ودونك ذكر «بروكوب» لسفارة روماني آخر يدعى «يليان» الى
الحبشة والحميريين كما ترجمه الاب شيخو ايضاً :

«ان يجعلوا قيس ، وكن وقتئذ ضليلاً هارباً عن وطنه ، على
ولاية معد ، ويضموا قواهم الى قوى جيشه ، فيهجموا على بلاد الفرس .
وقيس هذا كان احد رؤساء القبائل ، من نسل كريم ، وذا بطش في
الحرب ، وكان قتل اخا لاسيميافوس الحبشي فهرب من وجهه تاجها ^(٢) .
فهذان النصان عن قيس ، وان كانا ينطبان في اشياء على امريء

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٥ عدد ٨ ص ١٠٠٥

(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠٥ عدد ٨ ص ١٠٠٦

القيس ، يختلفان عن سيرته اختلافاً جوهرياً . فالنص الاول ينقض ما
نعهد عنه من انه لم يتول ملك أسرته ابداً ، بل قضى الشرط الاول
من حياته لاهياً بالنساء والخمر والصيد ، وقضى الشرط الثاني ساعياً وراء
هذا الملك بين محارب وطريد . وينقض ايضاً ما نعهد عنه من انه لم
يعرف القياصرة قبل التجائه اليهم عن طريق الحمارث ابن ابي شمر
الغساني ، فكيف بعقد المعاهدات بينه وبينهم ! والنص الثاني يأتينا
بشيء جديد ، وهو انه انما شرد في البادية ، فراراً من وجه حبشي
قتل اخاه .

فنحن اذاً بين ثلاثة امور : اما ان يكون قيس غير امريء القيس ،
واما ان تكون الرواية العربية من اساسها مشتطّة ، تجهل ان امراً
القيس رقي العرش ولبس التاج ، ثم هرب ، او اضطر الى الهرب ، لداع
لعله قتل اخي الحبشي ، واما ان يكون مؤرخو الروم صوروا غير الحقيقة .
وكيف دارت الامور ، فان اسلم سبلنا ان ننسب هذا المصدر الاجنبي
نسياناً تاماً ، الا اذا اردنا ان نستخرج منه مقدار اهتمام الرومان
بشؤون الجزيرة .

وصفوة القول ، ان هذا البحث قائم على المصدر العربي بما فيه من
التشويش ، وقد سبقت لنا الاشارة الى مطاعنه بوجه التعميم ، وفي النية
ان نفصل ونخصص حيث يستدعي ذلك البحث .

٢ - التعريف بامرئ القيس^(١)

هو شاعر جاهلي من اسرة ملوك كندة ، ولد في منازل الاسديين من ارض نجد ، وسطح في النصف الاول من القرن السادس للميلاد^(٢) — لا يختلف في ذلك الرواة . على انهم يختلفون في كثير سوى ذلك اختلافاً من عجا لا تلبث ان تدركه اذا سقنا اليك شتى رواياتهم في اسمه ولقبه وكنيته ، وارفقناها بشتى مذاهبهم في تفسير بعض من تلك الروايات .

اسمه امرؤ القيس ، على الاشهر ، ويقال بل جندح ، وليس امرؤ القيس سوى لقب غلب عليه ، ويقال بل اسمه عدي ، ويقال بل مليكة^(٣)

(١) لا نشير الى المرجع ، في هذا الفصل ، الا حيث نرى ان الخبر شاذ قل ما يثر عليه الباحث . فاما الاخبار التي تتكرر وتتكرد في جميع تراجم امرئ القيس ، فنضرب عن مصدرها صفحاً لقرب متناولها . (٢) لا نعرف تاريخاً مقررراً لامرئ القيس وليس من الغرب اننا لا نعرف ، لاسباب نظنها واضحة . فاما الذي لا شك فيه انه مات بعد سنة ٥٢٧ م ، اي بعد رقي يوستينيانوس العرش . ولقد اقترحت تواريخ عديدة لوفاته منها سنة ٥٤٠ م [نكسون ص ١٠٤] ، ومنها سنة ٥٦٥ م [شعراء النصرانية جزء ١ ص ٣٥] وجعل ذلك المستشرق نولدكي بين ٥٣٠ م و ٥٤٠ م ، باعتبار ان سنة ٥٣٠ م هي السنة التي شخص فيها الشاعر الى القسطنطينية [مادة امرئ القيس — الموسوعة الاسلامية] . (٣) المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٦٥ .

وينشعب المفسرون في تفسير امرىء القيس فئتين ١ ففئة تدعي ان القيس بمعنى الشدة عرف بها ٢ لما اصابه من المكاره ولما ابدى من الصبر والجأش^(١) ٣ وفئة تدعي ان القيس من القياس وان القلب انما علق به لنضارة جماله بحيث قيس اليه الناس في زمانه فوجد ابدعهم صورة^(٢) .
 واما القابه فهي الملك الضليل ٤ لقب به لكثرة تطوافه في الآفاق اولانه اضل ملك ابيه ٥ ويقول الدكتور طه حسين لانه ضل بن قل ٦ اي لا يعرف عنه شيء يمكن الاطمئنان اليه^(٣) ٧ ويقال بل ذو القروح لقوله :

وبدلت قرحاً دائماً بعد صحة ٨

ويقال بل الذائد لقوله :

اذود القوافي عني زيادا .

واما كناه فهي ابو وهب ٩ ويقال بل ابو زيد ١٠ ويقال بل

ابو الحارث .

واما اسم ابيه فحجر ١١ على الاشهر ١٢ ملك بني اسد القتيل ١٣ ويقال

بل عمر ١٤ ويقال بل السمط .

واما اسم امه ففاطمة ١٥ اخت المهلهل وكليب ١٦ ويقال بل تملك

ذكرها في شعره :

الا هل اتاها والحوادث جمّة ١٧ بان امرأ القيس بن تملك بيقرأ ؟

ولا ياخذك سوء الهضم امام هذا الخليط ١٨ فتنقم ١٩ وتدفعك النقرة

الى البت انك في معرض اسطورة من الاساطير ٢٠ فليس الاختلاف في

(١) شعراء النعمانية جزء ١ ص ٦ (٢) خزائن الادب جزء ١ ص ٢٢٦

(٣) في الادب الجاهلي ص ٢١٤

الاسماء ببدال على شيء . واذا كان الرواة قد اختلفوا في اسم ابي عمرو بن العلاء ، العالم الشهير ، على احد وعشرين قولاً^(١) ، مع ظهوره في عصر التدوين والتقييد بالكتابة ، فاخلق بهم ان يختلفوا في اسم امرىء القيس ، مع تضاوله في ابعاد الزمن . ولعل هذا التشويش المثير راجع الى كثرة من عرفوا بهذا الاسم^(٢) ، والى شهرة صاحبنا من بينهم . فنحن على اقل تقدير ، عالمون ان السمط ليس ابا لامرىء القيس صاحبنا ، وانما هو اب لامرىء قيس آخر ، قرن اسمه صاحب العقد باسم رجاء بن حيوة الفقيه^(٣) . ونحن ، عالمون ان الذائد ليست لقباً لامرىء القيس بن حجر ، بل لامرىء القيس بن بكر^(٤) ، حملت على شاعرنا هي والايات التي نتصل بها . ويلوح لنا ايضاً ان الرواة اشتد تنافسهم حول هذه الشخصية لما لها من صوت ملء آفاق الادب ، وكره الواحد منهم ان يمر بها دون ان يقذف كلمة تبقى له عنها ، فابتدعوا ، وتحذقوا في تفسير ابتداعاتهم ، حتى انك لا تطيق الاطلاع عليها دون الاغراق في الضحك . فليست القيس بمعنى الشدة ، وليست القيس من القياس ، وانما هي اسم صنم جاهلي معروف سمي به كثيرون وازيفت اليه قبيلة عبد القيس ، كما سقط اليها اسماء اخرى مضافة الى غيره من الاصنام كتم اللات وعبد العزى . واغلب الظن ان الاصمعي انما كره ذكر الشرك ، او التذكير به ، في عهد التوحيد عندما ابى ان يقرأ « يا امرأ القيس »

(١) المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٦٣ (٢) المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٨٤ . هناك ستة عشر رجلاً باسم امرىء القيس فقط ! (٣) الأمة الفريدي جزء ٢ ص ٢٤٨ (٤) المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٨٤

فانزل» واصر على قراءة «يا امرأ الله فانزل»^(١) .

وكذلك يُبعد ان يكون الشاعر ابن فاطمة ، اخت مهلهل و كليب
ويُبعد ان يكون المهلهل هو الذي نشأه على الشعر واخذ يده في مسالك
القوافي كما يزعمون^(٢) . ولحظة واحدة تكفي للشك في هذا ، اذ ليس
 من المعقول ان يكون المهلهل خاله ، وامامه في فن القصيد ، وفارس
 البسوس المغوار ، ثم لا يذكره ولا يشير اليه في جميع ما تبقى لنا من
 آثاره . وأعجب العجب ان أولئك الرواة الذين يدعون ذلك ، لا
 يترددون ان يلصقوا به قصيدة تشير الى خال له اسمه ابن كبشة :

خالي بن كبشة قد علمت مكانه

وابو يزيد ورهطه أعمامي

فغالطوا انفسهم بانفسهم^(٣) وعندنا في وقوع هذا الخطأ ظنٌ معقول ،
 او قريب من المعقول ، وهو كثرة اصهار ملوك كندة الى الربيعين ،
 لعوامل سياسية اذ كانوا ملوكهم او ملوك بني وائل منهم على الاقل ،
 ولذلك سأل ابو بكر قوما زعموا انهم من هامة ربيعة العظمى ، انتم
 اخوال الملوك من كندة^(٤) ؟ واذا كان ملوك كندة جروا على هذا
 الاصهار ، فليس ما يمنع ان يكون حجر جرى عليه ايضاً - هكذا قال
 الرواة او هكذا يجب ان يكونوا قالوا . ولكن الى اي قبيلة من ربيعة

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٥ عدد ٨ ص ٨٨٧

(٢) شعراء النصرانية جزء ١ ص ٨

(٣) راجع [في الادب الجاهلي ص ٢١٨ وادباء العرب ص ٤٠]

(٤) العقد الفريد جزء ٢ ص ٢١١

اصهر حجر ، او يحسن بهم ان يجعلوه بصهر ؟ ان تغلب عامة ، والى المهلهل
 خاصة ، لانهم بذلك يستطيعون ان يؤولوا شاعرية امرىء القيس تاويلاً
 يسيراً ، اخذها عن خاله وراثه او اكتسبها تلقيناً . وقد يكون اصل
 هذه القرابة العصبية القبلية ، ذلك لان امرأ القيس حامل لواء الشعراء^(١)
 واذا كان التغلبيون لا يستطيعون حشره معهم ، ونسبه اليمني بين ،
 فلا اقل من ان يجعلوا امه تغلبية ، ويكتسبوا شرف حمل وارضاع
 الشاعر الكبير .

هذا ، ونرجيء الايغال في التحقيق الى فصل آخر ، لان جل ما
 نرمي اليه هنا التعريف الوجيز بالشخص الذي يدور عليه البحث . ومن
 الخير الآن ان نتلمس شيئاً من تاريخ اسرته الكندية ، والمملكة
 الموسومة باسمها ، فنزداد تهيؤاً لفهم حياته ونجل حوادثها ، وبجث شعره ،
 وعلاج الشبهات التي تحوم حوله .

وصلة شهر طار

٣ - أسرته ومملكة كنده

لا تردد ساعة في تقرير الشرف الذي كانت تتمتع به أسرة
أمريء القيس في الباهلية . ويكفي أن يكون أحدها مرتباً — من
أجداد الشاعر في اليمن — سمي بذلك لأنه كان يقال ارتعنا فيقول
ارتعتمكم أرض كذا ^(١) ، وهو شأن من له قدرة سلطان . ويكفي أن
يختار التبابعة أحدها المعروف بآكل المزار — من أجداد الشاعر أيضاً —
ملكاً على بني بكر من عرب الشمال ، فينتقل بأهله إلى ديارهم وينشيء
المملكة الكندية ^(٢) . ويكفي أن ترسخ هذه الولاية حتى تكافح
اللخميين في الحيرة ، ونتمكن في وقت من استعادة ما كانوا اغتصبوه
من أرض بني بكر ^(٣) ، وفي وقت آخر من طرد المنذر الثالث أبهم
ماء السماء ، وتجريده من عرشه بحيث اقتضت إعادته إليه يداً كيد
كسرى أنوشروان ^(٤) . وإذا قد ذكرنا المناذرة والأكاسرة فلا نجد
بدأً من الإمام ببعض حالة العرب السياسية في ذلك العصر .

(١) خزانة الأدب ، جزء ١ ص ٢٢٦

(٢) شعراء النصرانية جزء ١ ص ٦

(٣) = = = =

(٤) نكلسون ص ٤٢

لم يكونوا منعزلين عن العالم كما قد نتوهم ، ولم يكونوا قادرين على الانعزال . فان موقعهم بين امبراطوريتين ضخميتين متشاحتين كالفرس والروم ، وطبيعة بلادهم الصحراوية التي لم تجعل لهم مندوحة من التعدي على الضواحي ، والاتقضاض على سكانها الامنيين كانت تلجئ هاتين الى التدخل الدائم في شؤونهم . فاصطنعت كلتاهما ترساً لها منهن صدرته على التخوم في وجه عدوتها ووجه البداة المتفرزين . وهكذا قامت دولة المناذرة في جانب الفرس ، ودولة الغساسنة في جانب الروم ، واشتربتا كرهاً لبعضهما ككره سيدتيهما او اسوأ (١) . ولئن ننسى المملكة الثالثة التي كان لها تأثير بليغ في الحالة ايضاً . وهي ليست اجنبية كاللتين فرغنا من ذكرهما ، وانما هي يمنية في جنوب الجزيرة يرأسها تبابعة حمير وربما خيل لنا ان قسطها من النفوذ اوفر الاقساط لانها عربية ، وذلك ادعى لحب العرب لها . غير ان العصبية العدنانية القحطانية كانت تقطع حتى وشائج الرحم . ولا ندري كيف وقع لابي عبيدة ان بني بكر بن وائل حين لح بهم الشقاق وخبطتهم الفتنة ذهب رؤساؤهم مختارين الى تبع وسألوه ان يتولى امرهم ، فملك عليهم امير كندة المعروف باكل المرار (٢) كما اسلفنا . وهو امر لا يكاد يعقل من قبيلة عدنانية . ونحن اذا تعجبنا هذا التعجب ، فليس لانا نذكر ان اكل المراد تولى بني بكر ، وغير بني بكر ايضاً ، وانشأ مملكة كندة ، بل لان لنا في تعليل ولايته مذهباً غير مذهب ابي عبيدة ، وهو ما تنقل الرواية من ان حسان تبع غزا غزوة الى اواسط الجزيرة واخضع شتى قبائلها ، فلما عاد

(١) نكلسون ص ٣٣

(٢) شعراء النصرانية جزء ١ ص ٦

اقام عليهم آكل المزار الكندي عاملاً له حوالى سنة ٤٨٠ م^(١) .
 وصارت هذه القبائل تدفع الاتاوة في كل عام الى موفد من التبابعة
 انفسهم او من الكنديين عمالهم ، كما يستفاد من هذا الحديث لابي عمرو
 بن العلاء بصدد الكلام عن يوم خزازى « كان الرجل من اليمن يأتي
 ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من اموال نزار ما شاء »^(٢) .
 ويوم خزازى هذا لم يكن الا ثورة من العدنانيين على القحطانيين ، وفوز
 العدنانيين فيه لم يكن الا تحرراً لهم من دفع الاتاوة . وكأني بظل
 كندة تقلص اثر هذا الاندحار ، وكأني بالتبابعة احسوا ما لحقهم من
 الخسارة المادية والمعنوية ، فظلموا يرتقبون الفرصة لاستدراك ما افلت
 منهم حتى كان ما يروى من تضعع البكرين ، ونستطيع ان نقول
 التغليبين ايضاً اذ لا نخال ذلك الا اشارة الى حرب البسوس ، فتدخلوا
 في الامر ، او تدخل الكنديون زمن الحارث بن عمرو^(٣) ، واعادوا
 جاه سلطانهم وجددوا وزن الحميريين . هذا ، ولا تخطر لنا خطرة شك
 ان مملكة كندة انما كانت محاولة من التبابعة لحفظ الشكافو السيامي في
 شمالي الجزيرة بينهم وبين امبراطوريتي الفرس والروم . وخليق بدولة
 هذا باعثها ان تكون على غير صفاء مع دولتي الغساسنة والمناذرة كما

(١) الموسوعة الاسلامية - مادة كندة

(٢) العقد الفريد ، جزء ٣ ص ٣٦٥

(٣) ينقل عبد القادر البغدادي في سياق كلامه عن المهمل وحرب البسوس
 ان الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ، وهو جد امرى القيس بن حجر ،
 راسل التغليبين والبكرين ، عندما ضجروا من الحرب ، في الصلح والتحكيم
 عليهم . ويردف انه افلح في قصده ، وشغلهم بحرب اللخمين من [هكذا في الاصل
 ولعلها و] بني غسان ملوك الشام [خزانة الادب جزء ٢ ص ٢٨]

كانتا هما على غير صفاء .

وليس علينا بعد ان ارخنا نشأة هذه المملكة واسبابها ، والظروف التي احاطت بها ، الا ان نقدم خطوة اخرى فنؤرخ ازدهارها الباهر على يد الحارث بن عمرو ، والد حجر وجد امرىء القيس .

المعنا في صدر هذا الكلام عن ولاية كندة انها منذ فجرها استطاعت بحسن تدبير آكل المرار ، ملكها الاول ، ان تغلب على ما كان المناذرة احتلوه من ارض بني بكر . وكذلك المعنا في نهاية الفقرة السابقة الى الموقف العدائي الذي اتخذته من ولايتي المناذرة وغسان . ولكن اخبارها مع الغساسنة لا تهمنا כאخبارها مع المناذرة ، وهي كثيرة تعود كثرتها الى تقاربهما في البلاد وتتابع اصطدامهما في المصالح . والذي لا شك فيه ان هاتين الدولتين كانتا ابدأً مبشوثتي العيون احداهما على الاخرى ، قائمتين على السلاح في اهبة الهجوم عند ما يناسب الجو . وقد اتفق ان خدمت الظروف كندة احسن خدمة ، في زمن الحارث بن عمرو ، على المناذرة في زمن المنذر الثالث ابن ماء السماء . وذلك ان كسرى قباذ ، ملك الفرس ، غضب على صنيعته المنذر لانه لم يجذب نواميس مزدك المنعوت بالزنديق كما حبذا هو ^(١) . فاهمله وازور عنه ، فاستغل الحارث ذلك اعجل استغلال ، وكان قد اشتد ازره بما استرجع من السلطان على بني وائل ، فاغار على خصمه الالد وخلعه ملكه الذي قلنا انه ظل مشرداً عنه حتى عهد كسرى انوشروان . ولعل ما تحكي الرواية من ان نزاراً نفاسدت ، وعمدت الى الحارث تسأله اصلاح شأنها

فوزع اولاده على قبائلها^(١) ، يكون اقرب الى المنقول اذا عكس تماماً
فقل ان الحارث قويت شوكته بهذا النصر المبين ففرض اولاده على
نزار فرضاً . ولكن النعمة لم تطل عليه بعد بلوغه هذا المبلغ ، لان انو
شروان خاف مغيبته اذا هو ارسل له الحبل على غاربه بعد ان فعل بعامله
المنذر ما فعل . فطلبه ، ولج في طلبه ، فخرج الحارث هائماً على وجهه ،
خائفاً من سطوة الملك ، حتى استقر في بني كلب^(٢) . واتبعه المنذر
ليشفي منه غله فلم يدركه ، غير ان بني تغلب وهم في عسكره ، وكانهم
كانوا قد انتقضوا على ملكهم السابق ودخلوا في طاعة عدوه ، ظفروا
بثمانية واربعين من بني آكل المار ، قتلوهم في الموضع المسمى جفر
الاملاك^(٣) .

وهنا لا بد للذاكرة ان تكرر نحو التبابعة ، وتدهش من تخلفهم
عن صاحبهم هذا التخلف الطويل . ولكن رحم الله التبابعة ، لقد كان
الحبش ازلوهم^(٤) ! ونحن نرى ان هذا المصير الذي انتهت اليه كندة
وثيق العلاقة بزوالهم . وقمين بكندة ابن نئلاشي بتلاشي مصطنعها
والمناذرة ، ومن ورائهم الفرس ، يلحون عليها اشد اللاحاح . وقمين
بالقبائل الخاضعة لاولاد الحارث ان نتمرد عليهم بعد ذهاب ملكهم —
وهل انتقاض بني اسد على حجر وفتكهم به سوى مظهر من مظاهر

(١) شعراء النصرانية جزء ١ ص ٦-٧

(٢) = = = ص ٧

(٣) = = =

(٤) وذلك حوالى سنة ٥٢٥ م — راجع نكلسون ص ٢٦-٢٧

هذا التمرد^(١)؟ اضع الى ذلك ان افراد الاسرة المالكة فتنهم مجال
الحرية الذي اتسع لهم بفرار ابيهم ، وارتفاع رقابة اسيادهم عنهم ، فطمع
كل منهم بملك صاحبه ، واندلعت اللسنة بينهم بالوشايات ، وتحادوا
ومشوا الى بعضهم بالسيوف كما هو مسطور في خبر اعمام امري القيس^(٢)
ولم يكن الكندة امل بالتجدد لان التبابعة لم تقم لهم قائمة بعد الفتح
الجبشي الا بمظاهرة الفرس ، ولم تثمر مساعي ابن ذي يزن سوى
استبدال مسيطر اجني بآخر اجني .

(١) ابن قتيبة ص ١٦-١٧

(٢) شعراء النصرانية جزء ١ ص ١-٥

٤ - قصة حياته^(١)

ولنعتمد الى قصة حياته ، ولنسردها كما وقعت في كتب الادب
بغير تعليق ، لا لانا نقبلها بقضها وقضيضها ، بل لانا لا نرى من الحكمة
ان نمضي في نقدها قبل ان نستوعب جميع ما يقول الرواة .
نعرف ان هذا الشاعر اصغر ابناء حجر ، من ولد الحارث آخر ملوك
كندة الذي تحدثنا عنه ملياً . ونعرف ايضاً ان سيرته تنقسم الى
عهدين رئيسيين يفصلهما مقتل ابيه في بني اسد . فاما العهد الاول ،
وعليه مدار الكلام الآن فلا نعرف بدءه لان المصادر ، على اطلاقها ،
تغفل تاريخ ولادته . ثم هي لا تذكر من طفولته او حادثته شيئاً سوى
انه قضى زمن رضاعه في بني حنظلة مع ظئر منهم ، وانه تلقن الشعر من
خاله المهلب . فلذلك ترانا مكرهين ان نتعدى هذين الطورين الى
شبابه حين تستفيض الرواية عنه ، فيظهر لنا فتى شاعراً وضيء الطلعة
ولكن على غير وفاق مع والده ، حتى ليحكي ان والده دفعه الى عبد من
عبيده اسمه ربيعة وامره بقتله ، ففطن العبد الى ان مولاه انما اصدر
حكمه القاسي في ساعة غيظ عظيم ، فقتل جوذراً مكانه ، واستبقاه في

(١) بنينا هذا الفصل على شعراء النصرانية للاب شيخو ، لانه اوسع
مجموعة لاخبار امرى القيس ، ولم نشر الى المرجع الا حيث خرجنا عن هذه
المجموعة .

الخفاء . وسبب هذا الخلاف الشديد بينهما على قول ، انفة الوالد من صناعة الشعر لابنه ، وعلى قول آخر عشق الولد لابنة عمه عنيزة^(١) ، او لفاطمة بنت العبيد العذرية^(٢) ، وتعقبه لها ، وارساله الاغزال فيها ، وعلى قول آخر ، تعهره واجترأؤه حتى على التعرض لامرأة ابيه ام الحويرث^(٣) .

ومهما يكن من امر^(٤) ، فنحن في هذا الطور امام مترف من ابناء الملوك ، متكئ على مال امرته ، لا ينفك متفسحاً في احياء العرب مع اخلاط من الشذاذ ، ينزل بهم حيث يطيب المرتع عند غدير او محلة صيد فلا يزال يبسط لهم موائد الطعام والشراب ، ويشار بهم فيها حتى يحمله نضوب الغدير او نقاد الصيد على الاقلاق والتماس موضع آخر . وكذلك نحن امام فاسق ، تبع نساء ، متخلع فيهن ، شره اليهن ، يلتقط خير ورود شرذمة منهن الى غدير في دارة جلجل ، او غير دارة جلجل فيسبقهن الى الموضع ، ويمكن لهن ، حتى اذا تعرين للاستحمام ، وانغمسن في الماء بغتتهن من مكته ، وجمع ثيابهن ، وقعد عليها في شط الغدير مقسماً ان لا يهرج مقعده حتى يصعدن اليه عاريات واحدة واحدة ، ويستلمن ثيابهن ، ويرتدينها على مرأى منه . فيتبرمن ويتضايقن ، ثم يحتلن عليه باللفظ رجاء ان ينصرف عنهن ولكن على غير جدوى .

(١) رجال المعلقات العشر ص ٩١

(٢) الاغني ، جزء ٨ ، ص ٦٠

(٣) خزانة الادب جزء ١ ص ٢٥٥

(٤) لعل ابن رشيق مصيب حين يأتي ان يكون سبب الخلاف مجرد قول الشعر ، ويرد الامر الى تحتك الشاعر ، وتشبيمه بنساء ابيه ، واشتغاله بالخمير والزنى عن الملك والرياسة . [العمدة جزء ١ ص ٢٠ - ٢١]

حتى اذا مال النهار ، ولم يجد بداً من النزول عند رغبته ، مشين اليه
 في عريه ، واخذن ملاسهن ، وتستن ثم اقبلن عليه يعاتبه ، ويدكرن
 له تاخرهن وجوعهن ، فيعقرهن ناقته ويطعمهن ، واذا يحين
 وقت الانصراف ، وليس لديه مر كوب ، يفرض نفسه على احدهن
 فاطمة او عنيزة ، وهي المقصودة بالذات ، وتسانده بقية العذارى في
 تحقيق بغيته ، فيعتلي معها البعير الى خارج الهودج ، ويروح مدع
 الطريق يلثمها ويشمها^(١) ذلك هو العهد الاول من حياة هذا الشاعر
 الذي يقال انه نظم فيه معلقته او بعض معلقته ، وتلك هي صورته باسمه
 لاعبة ، ناضرة ، صانية لا تشوبها شوائب الكدر .

ولكن ما اسرع ما يتبدل هذا الطريق المفروش بالورد ، وما
 اسرع ما يخشوشن هذا المهدي الحريري الوثير ، فيضمحل ملك التبابعة ،
 ثم يغضب كسرى على جده الحارث ولا ظهير له ، فيهرب ويستخفي في
 احدى القبائل . ثم لا يلبث بنو اسد ان ينتهزوا تضعضع الحسالى ،
 ويمتنعوا من دفع الاتاة المترتبة عليهم لايه حجر ، فينشب الخصام بينهم
 وبينه ، فيأتي بسراهم ، ويشهرهم ضرباً بالعصى حتى يسموا «عبيد
 العصا» ، ويحبس بعضهم ، فيستكينون له ، ويدفعون الاتاة ، فيرق
 لهم ويرفع عنهم كابوس عذابه . ثم يسجع لهم كاهنهم بقتله فلا تمضي
 برهة الا وهو طعين ذبيح . ويصل الرسول بالخبر المشؤوم الى الولد
 الشارد ، وهو يلعب الشطرنج ، ويعلمه بالفاجعة ، فلا يبدي لها تأثراً
 ويستمر في لعبه ، فيعطيه الرسول وصية ابيه ، وكان الملك القليل امره

ان يطوف بها على جميع اولاده فلا يسلمها الا لمن لا يحزن او يحزع
لانه اخلقهم بمناهضة العدو واخذ الثأر .

وهنا يشعر الخلي الناهل عن مشاق الحياة ومضائنها بالواجب الضخم
الذي عليه ، ويوقن ان لا مندوحة له من تطليق غيبه ولهوه الى ما هو
اوفر واكثر جداً فيهتف « ضيعني ابي صغيراً وحماني دمه كبيراً !
لاصحو اليوم ولا سكر غداً ؛ اليوم خمر وغدا امر » وهكذا ينجلي الى
كوؤسه ودنائه سبغاً ليوذعها الوداع الاخير ، واذ يصحو يقسم « ان
لا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمرأ ، ولا يدهن بدهن ، ولا يلبس بلبس ،
ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأر ابيه ، فيقتل من بني اسد مائة ، ويجز
نواصي مائة » ويشرع باعداد العدد للخصام المتوقع ، وفيما هو يخرج ما
في خزائن ابيه من السلاح ، يطلع عليه وفد من بني اسد للمفاوضة في
الصلح ، ويخبرونه بين ثلاثة امور : اما طلب اشرف بيت في بني اسد
يقتادونه اليه فيشفي منه نفسه ، واما فداء من نعم بني اسد فهي الوف
واما موادة حتى تضع الحوامل ويتأهبوا للبلاء ، فيأبى الصلح بوجه
من الوجوه ، ولكنه يرضى موادعتهم الى حين . وينصرف الوفد ،
ويستمر الشاعر في اعداد العدد ، ثم يضرب في القبائل مستنصراً ،
مؤلباً ، مستاجراً من يشد ازره . فيلجأ الى بني بكر وتغلب ، الذين
قدم آكل المرار اول جددوده في الشمال ملكاً عليهم ، فيسيرون الى
بني اسد ، ويواقعونهم حتى يكثر فيهم القتل والجرحى ، ويجز
بينهم تكاثف الظلام . ثم يهيمون بالرجوع ، اعتقاداً منهم ان صاحبهم
اصاب ثأره ، ولكنه لا يكتفي بذلك ، فينفذون عنه . ثم يلجأ الى اهله
من اليمن ، يستصرخ الازد فلا يلبون له نداء . فيلجأ الى ذوي قريبه

من بني حمير ، فيمدونه بخمسمائة رجل ، ويستأجر غيرهم ، ثم يعود طالبا
 بني اسد . وهنا يقع ما تسوق الرواية من انه مر بقبالة علي صنم يدعى
 الخلاصة ، فقال اليه ليكشف عن رأيه في استقصائه للثأر ، واستقسم
 عنده بقداحه الثلاثة : الأمر والنهي والمتربص ثلاث مرات ، وفي
 كلها لم يكن يخرج اليه سوى النهي . فاغتاز وكسر قداحه ،
 وقذف بها وجه الصنم قائلاً : « ويحك لو ابوك قتل ما عتقني ! » وتابع
 سيره حتى انتهى الى بني اسد وتغلب عليهم مرة ثانية .

ويتنبه المنذر الثالث عدو جده الالاء ، الى خطر هذا الامير المغامر
 المحراك ، الذي يمثل بقية كندة ، ويخشى تفاقم شره فينبغي له ويطارده
 في كل فج عميق . فيتشبت عنه من النف عليه من الحميريين ، ويضطر
 الى النجاة في عصبة من بني آكل المرار ، حتى ينزل بالحرث بن شهاب من
 بني يربوع بن حنظلة ، ومعه ادرع اسرته الخمسة الشهير امرها . فيبعث
 المنذر الى الحارث متوعداً متهدداً اذا هو لم يسلم بني آكل المرار ، فيسلمهم
 وينجو الشاعر مع هند بنته او اخته ، وآخر من ذوي قرياد اسمه يزيد ،
 وهو لا يزال محتفظاً بالادرع والسلاح ، وبمال كان بقي معه ويستجير
 بعدها بابن عمه له اسمه عمرو ، ويذكر له رحمه ويمدحه ، فيجيره زماناً
 ولكن المنذر لا يألو جهداً في تحسس اخباره حتى يعلم مقره ، فيطلبه ،
 فينجو ايضاً ، ويتعلق بجبال هانيء بن مسعود ، من رؤساء بني شيبان ،
 فلا يجد عنده متعلقاً . فيأوي الى سعد بن ضباب ، سيد اباد ، ويحكي
 انه من انسابه ، فيؤويه ، فيمدحه ويهجو ابن مسعود . ثم يتحول عنه
 الى ارض طي فيتنقل بين رؤساء اخذها وبطونها طويلاً : فمن المعلى بن تميم
 بني جديلة ، الى احد كبراء بني نيهان ، الى عامر بن جوين من

خلعاء طي وفتا کہا . وکان هذا شاعراً ايضاً ، فاکثر في نظمه من
 ذکر هند ، اخت شاعرنا او بنته ، فلم يأت من شره ، وتجاوزته خلصة الى
 رجل من بني ثعل . فوقع الحرب بين عامر بن جوين والثعلبي ، فکادت
 تنشق طي من اجله ، فخرج من ارضهم بعد ان تزوج منهم ام جندب ،
 وطلقها لتفضيلها علقمة الفحل عليه في مساجلتها في وصف الفرس .
 واخيراً الى اين يلجأ ؟ لقد ملته القبائل وکادت تلفظه الصحراء !
 تزعم الرواية انه حل برجل من بني فزارة حلولا موقوتا ريثما يفکر في
 مصيره ، فکان ان نصحه الفزاري ان يلجأ الى السموأل بتياء ، واوصله
 الى رجل آخر من بني فزارة ، شاعر يأتي السموأل وينشده فيعود بالجوائز
 الطيبات . فصادفت النصيحة هوى في قلب شاعرنا ، فنظم قصيدة
 قافية ، ورافق الفزاري الى صاحب الابلق . فاکرم مشواه واحله عنده
 ماشاء . ولكن الامير المشرّد کان لم يزال تواقاً الى الاخذ بثأر ابيه ،
 حناناً الى عرش اسرته . فطلب اليه يوماً ان يسأل الحارث ابن ابي
 شمر الغساني ان يعرفه الى قيصر الروم ، يوستينيانوس ، وييسر له شأنه
 ففعل السموأل ، وفعل الحارث ابن ابي شمر ، واهتم يوستينيانوس بشأن
 هذا الامير العربي . وبلغ الشاعر خبر اهتمامه به ، فاستودع السموأل
 الادرع والسلاح وهنداً ويزيد ابن عمه ، وشخص الى القسطنطينية .
 وتسوق الرواية ان مكانته علت في البلاط ، وکادت تتم له امنيته ، لولا
 ان احبته ابنة القيصر واحبها ، واندس له الطماح بن قيس من بني اسد ،
 فوجد ریح هذا الحب ، ووشى به الى الملك ، فعلم الشاعر بالوشاية
 وخاف العاقبة ، فهرب من القسطنطينية متسرّعاً ، بجيش کان اعده له
 القصر او بغیر جيش ، فما هو ان وصل انقره حتى ادرکه رسول

البلاط الامبراطوري بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، زعم ان
مولاه خصه بها حباً واكراماً ، فلما لبسها في يوم صائف تفتطّر جسده
وتهرأ لحمه فهلك .

ولا بأس اذا اوردنا في ختام هذه القصة ما يزعم الرواة من ان
الشاعر عندما اخذه النزع ، بصر بقبر في سفح جبل اسمه عسيب ،
فسأل عنه ، ف قيل له انه قبر امرأة من بنات الملوك . فاوصى ان يدفن
الى جنبها ، وانشأ ابياتاً منها البيت المشهور :

اجارَتنا انا غريبانِ ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

ولا بأس اذا زدنا ما يزعمون من ان ملك القسطنطينية ، عندما
سمع بوفاة ، حزن ، وامر ان ينحت له تمثال ، وينصب على قبره .

دم صيد نار

٥ - تحقيق حياته

ولننخل الآن هذه القصة التي بسطناها للشاعر ببعض التفصيل ، ولنأخذ المضطرب منها فنطرحه ، والثابت فستبقية . غير أنك قد تعلم أن تراخي الزمان ، وقلة المصادر ، وتعذر رد الاخبار الى اوقات نشوئها وسيرها في الناس ، لا تجعل ما ننوبه من التحقيق يسيرا . وكم كنا نود لو نستطيع درس كل خبر على حدة ، ورفضه او قبوله ، استناداً الى تحزب صاحبه او نزاهته ، وبعده في الوقت او قربه . ومع هذه الصعوبات فلن نعدم ادلة اخرى على مواضع الشبهات .

نستهل بالترجيح ان احمد القيس قد وجد حقاً ، وليس اختلاف الرواة في اسمه ولقبه وكنيته ، بالامر الذي يعلق عليه كبير اهمية ، كما اسلفنا . فقد كاد الرواة يختلفون في كل شيء ، واذا اجزنا لانفسنا ان نجعل من ذلك حجة للانكار لم يثبت لنا شيء ما . ولا نكتفي في برهان ترجيحنا هذا بما يقال من ان النبي وعمر وعلياً^(١) وكثيرين غيرهم ذكروه وابدوا فيه آراء لا تزال معروقة ، فقد تكون من افتعال الرواة قصدوا بها اجتلاب الاسماع وتبنيها اليه ولكننا نرجع الى حالة العصر السياسية كما صورناها ، ونسأل هل تلائم ما عرفنا من سيرة هذا الشاعر ؟ لانكاد نشك في ذلك ! واي شيء اقرب من ان تسقط مملكة كندة ، ويهوي

عرشها ، وليس لها من يسندها امام ضغط الفرس واللخميين ؟ واي شيء اقرب من ان يقوم امير من بقايا امراءها ، طماح الى التاج ، يستصرخ القبائل ، ولا يزال يجاهد خصومه حتى تنفرط عنه جموعه ، رغبة او رهبة من المناذرة والاكاسرة ؟ واي شيء اقرب من ان يقع هذا الامير العاثر على اعتاب قيصر الروم ، وهو عدو كسرى ومنافسه في بسط السيطرة على الجزيرة العربية ؟ واي شيء اقرب من ان يحتجى به القيصر ، وينوي مساعدته ، وهو قد يستعمله ، وينتفع بولايته في جميع مصالحه ، وما اكثرها في حروبه مع الفرس !

على انا وان آمننا بحقيقة امرى القيس ، فلا سبيل لنا ان نومن بتفاصيل حياته كلها ، لان منها ما هو واضح الاصطناع لما فيه من نسق الفن القصصي ، ومنها ما هو ظاهر الشبهة لما فيه من العصبية القبلية . فلنفصل ما نعني :

تسوق الرواية عنه عشقاً لابنة عمه . وعشق ابنة العم بكاد يكون لونا لازماً لجميع الشعراء ، فامرؤ القيس احب ابنة عمه ، وعنترة احب ابنة عمه ، ومجنون ليلى احب ابنة عمه ، وعروة ابن حزام احب ابنة عمه وجميل بثينة احب ابنة عمه ، وغيرهم وغيرهم . واننا لا نكاد نقف حيال هذا اللون المشترك الا موقفنا حيال التأليف الروائي .

وتسوق الرواية انه « آلى بألية الا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية واربعة واثنين . فجعل يخطب النساء ، فاذا سألهن عن هذا ، قلن اربعة عشر . فبينما هو يسير في جوف الليل ، اذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، فاعجبته . فقال لها يا جارية ما ثمانية واربعة واثنان ، فقالت اما ثمانية فاطباء الكلبة ، واما اربعة فاخلا ، واما اثنان فتديا

المرأة . فخطبها الي ابيها ، فزوجه اياها . وشرطت هي عليه ان تسأله
عن ثلاث خصال ^(١) « وتنسج حول ذلك نادرة غريبة هي للتظرف
والتملح اكثر منها لشيء اخر . ويقويننا في اعتقادنا ان هذه النادرة
نشأت في ليلة سمر عند عمرو بن هبيرة في الكوفة ^(٢) . ولسنا بحاجة
الى التدليل كم كان بضطر سائر الولاة والخلفاء الى الاختراع في مثل
هذه المواقف قصد التلهية وابناق المسامح ^(٣) .

وتسوق الرواية له كلاماً عند مقتل ابيه هو قريب من كلام المهمل
عند مقتل اخيه ، وتضعه في موقف هو قريب من موقفه ^(٤) . قال
امرؤ القيس اليوم خمر وغدا امر ، وقال المهمل اليوم خمر وغدا امر .
ولعل القولين مكذوبان على الشاعرين ، ولعل الموقفين اللذين بلغهما
فيهما خير المقتل متكلفان تكلفاً ، لشدة ما يشفان عن التفتن القصصي ،
وينان عن ميل القصاص الى الاغراب والادهاش .

(١) الشنقيطي ، ص ١١

(٢) الاغانى ، جزء ٨ ص ٧٤

(٣) ومن قبيل التظرف والتملح ايضاً ، الرواية التي ينقلها الشنقيطي عن
ارسال ابيه له في الابل ايرعاها ، ثم ارساله له في الخيل ، ثم ارساله له في الضأن
عساه يرتدع عن لحوه وبطالته . راجعها وتأمل الاسجاع التي يتلفظ بها امرؤ
القيس ، فانها اوضح دليل على صفتها القصصية - الشنقيطي ص ٥ - ٦ . و
ار اجمع من كلمة ابي الطيب اللغوي في شيوع القصص ، واختلاط العلم عن
طريقها حيث يقول ما فحواه ، ان اهل الكوفة غلبوا على بغداد لما انتقل العلم
اليها ، وخدموا الملوك فقدمهم ، فأرغب الناس في الروايات الشاذة ، وتفاخروا
بالنوادير ، وتباهوا بالترخيصات ، وتركوا الأصول ، واعتمدوا على الفروع
فاختلط العلم - المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٥٦

(١) خزنة الادب ج ٢ ص ٢٥

وتسوق الرواية ان وفداً من بني اسد زاروه وهو يستعد لاختلاخ النار
فاظهروا الذلة والمسكنة ، واكثروا من طلب العذر ، ووصفوه ، ووصفوا
اباه بما لم يكن لاحد من العرب ، كل ذلك استعطافاً له كي يرتد عن
قتالهم ، او يميلهم قليلاً . وانك لو اردت ان تلمس موقفاً ينضج باثر
المنافسة والمفاخرة القبلية نضجاً ، وتفوح منه رائحة الاختلاق والتوليد
فوحاً لم تظفر . وحسبك منه هذا المقدار مصداقاً لما نقول : « انك
في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه ايامه ، وتنتقل
به احواله ، بحيث لا تحتاج الى تبصير وانظ ، ولا تذكر بحرب ،
ولك من سوؤد منصبك ، وشرف اعرائك ، وكرم اصلك في العرب ،
محتمل يشمل ما حمل عليه من اقامة العثرة ، ورجوع عن هفوة .
ولا نتجاوز الهم الى غاية ، الا رجعت اليك ، فوجدت عندك من
فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ، في الذي كان من
الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ، ولم تخصص كندة
بذلك دوننا للشرف البارع . كان لحجر التاج والعمدة فوق الجبين
الكريم ، واخاء الحمد وطيب الشيم . ولو يفدى هالك بالانفس الباقية
بعده ، لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولفديناه منه ^(١) » . اليس
لهذه الاسطر من نفسها لسان ينادي عليها بان كندة اصطنعتها لتدليل
على مجدها ، وخنوع خلق الله امامها ؟

وتسوق الرواية تجوالاً طويلاً له في القبائل ، وشعراً في مدح
بعض الاسياد وهجو بعضهم ، وفي كل ذلك رائحة عصبية قوية تدل على
الشبهة . ولا نحسب قصته مع السموأل الا من هذا القبيل ، فالاصفهانى

صاحب الاغاني ، لا يتريب ان دارم بن عقال ، وهو من ولد السموأل
اصطنع القصيدة القافية في مدح جده ، وحملها على امرئ القيس ^(١) .
وتسوق الرواية هيأماً لابنة القيصر به ، وهيأماً له بابنة القيصر ،
وتزعم ان الطماح الاسدي شعر بهذه العلاقة غير البريئة ، فتم عليه الى
القيصر ، فلم يجد بداً من الخروج ، هارباً او شبه هارب ، حتى اذا بلغ
انقرة ، وصلته الحلة المسمومة ، فلبسها ، فكانت فيها منيته . ولا نرى
في هذا الا ضرباً من التاليف الروائي ، والعشق فيه كثير ، والمكاييد في
سبيل العشق اكثر ، فضلاً عن ان التاريخ لا يعرف اصلاً لمثل هذه
الفتاة الاميرة في بلاط يوستينيانوس . فاما الحلة المسمومة فلا يحتاج ما
فيها من عمل الخيال ومحاولة الاغراب الى تنبيه . ونرجح ان الشاعر
مات بداء ترافقه القروح والبثور ، كالجدري او غيره ، فاتخذ الرواة
من ذلك قاعدة لاسطورة الحلة المسمومة .

وتسوق الرواية له تمثالاً اقامه القيصر بانقره . وتردف ان المأمون
راه عندما غزا الصائفة . وعبثاً نفقش في غزوة المأمون للروم عن هذا
الخير . وفي اعتقادنا ان غير المأمون ممن غزا الروم قبله كانوا اولى
بمشاهدة هذا التمثال . ولماذا يغفل عنه مسلمة بن عبد الملك مثلاً ،
وهو قد اوغل في تلك البلاد ، حتى بلغ القسطنطينية ، وحاصرها في
خلافة اخيه سليمان .

وصفوة القول ، ان العلم يقضي علينا ان لا نستسلم بثقتنا الى هذه
الحكايات ، وقد تبخرناها ، واظهرنا قلقها واختلاها . ولو سئلنا ان
نكتب سيرة لامرئ القيس لم نزد على ما نظن القاريء قد استخلصه

لنفسه ، من ان الشاعر امير كندي فتح عينيه ، فرأى عليه فيء ملك
كبير ، ومال وفير ، وجميع مباحج الحياة قريبة من متناوله ، فقد اليها
يداً متهالكة ، وفماً جائعاً ، واستمتع بها دهرأً غير انه لم يلبث طويلاً
حتى رأى فيء ذلك الملك يتقلص ، وموارد المال تنضب ، واسرته
تضعف ، من جراء انقلاب سياسي ذكرناه ، فجد لاسترجاع مافات ،
واستبعاد من آانس فيهم النجدة ، ولكنه لم يفلح .

أرى الصغير امير كندي مع عينيه على ملك
كبير ، ومال وفير ، وجميع مباحج الحياة قريبة منه
فقد امير كندي متهالكة ، وفماً جائعاً ، واستمتع
بها دهرأً غير انه لم يلبث طويلاً حتى رأى فيء
ذلك الملك يتقلص ، وموارد المال تنضب ، واسرته
تضعف ، من جراء انقلاب سياسي ذكرناه ، فجد
لاسترجاع مافات ، واستبعاد من آانس فيهم
النجدة ، ولكنه لم يفلح .

٦ - دینه

بقي علينا ان نلقي نظرة الى دينه ، وبذلك نتفرغ لدرس فنون شعره ، والتماس منحو له من صحيجه ، وتقدير قيمته الفنية . ولا نخلع ان نتوصل الى حقيقة هذا الامر ، فالرواية تكاد تكون ساكنة عنه وشعره لا يكاد يترك اي اثر في النفس من هذا القليل ، فضلاً عن ان الركون الى هذا الشعر فيه كثير من المخاطرة كما ستري .

هناك تأولات وتظننات وافرة في هذه الناحية من الشاعر ، وسنعالجها كلها ، فقد لا تفوتنا المراتة الفكرية ، اذا فاتتنا النتيجة الحاسمة . فمن قائل انه لم يكن على اي دين ، ولم يكن ليعبر هذه الشؤن التفاتاً ، ومن قائل انه كان وثنياً ، ومن قائل انه كان مزدكياً ، ومن قائل انه كان نصرانياً ^(١) .

اما اصحاب القول الاول — اي انه لم يكن على اي دين ، ولم يكن ليعبر هذه الشؤن التفاتاً — فلا نظنهم جادين فيما يزعمون ، ولا نحسب دافعهم الى هذا الاعتقاد سوى ما يطالعون من القول المنسوب الى النبي ان هذا الشاعر يجيء يوم القيامة ويبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار ، وما يعرفون من تهكمه في اشتات الشؤن ، وامتلاء حياته

باللهو والبطالة أولاً ، والحرب والسياسة آخراً . واذا صح ما يزعمون ،
 فيكون امرؤ القيس فلتة الاجيال ، لان التاريخ لا يعرف سواه بلا
 دين على الاطلاق .

واما اصحاب القول الثاني — اي انه كان وثنياً — فقد يعتلون
 بثلاثة احوار اربعة امور وهي : ما يزعم عنه من استقسامه عند الصنم ذي
 الخلصة ، وما ذهبنا اليه من ان اسمه اضافة الى صنم ، وما يلصق به من
 وأده لبناته ^(١) ، وما يؤثر عنه من استهتاره بالفواحش ، مما لا يجوز
 دين موحد متخرج في الاخلاق . وما اوهى هذه الحجج في وجه النقد
 فاستقسامه عند ذي الخلصة ، وكسره للقداح ، وقذفه لوجه الصنم بها ،
 اقصوصة غير ثابتة ، وهي اقرب ان تكون مصنوعة لتلوين قصة حياة
 من ان تكون حقيقية ، فضلاً عن ان ثبوتها ، لا يري شديد تعلق منه
 بالوثنية ، وخشوعاً امام اصنامها . وكذلك وأده لبناته غير ثابت اذ من
 الرواة من يزعم ان له بنتاً اسمها هند ، وينسب اليه شعراً في تذكرها
 وتشوقها من القسطنطينية (٢) . ثم ان استهتاره بالفواحش لا يدلنا على
 شيء ، واذا كان لا بد من اتخاذ شاهد على عدم توحيده فقد يجب ان
 نقرر ان الموحدين كلهم عباد ونسك . اما حجة اضافة اسمه الى صنم
 فاضحوة ، وقد لا يظهر لك العبث فيها الا اذا اخذت طائفة من
 عشرائك ورحت تستنتج عقائدهم الدينية من اسمائهم .
 واما اصحاب القول الثالث — اي انه كان مزدكياً — ففي

(١) ينقل ذلك الدكتور طه حسين في الادب الجاهلي ص ٢١٠

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٤٢ — ٤٣

طليعتهم الاب انستاس الكرملى^(١) . ودليله نشوء المزدكية في زمانه
وتسربها الى العرب ، وانتحال جده الحارث لها ، وموافقة فسقه ومجونه
ما في تلك البدعة من استرخاء اخلاقي . ولكن من قال ان المزدكية
هي كذلك ، ونحن نعلم ان كسرى انوشروان لاحق اتباعها ، ومزقهم
كل ممزق ، وعفى على اثارها^(٢) ، فقام اعداؤها كهنة المجوس بشنون
عليه ويشيدون بعدله من جانب ، ويفحشون عليها ويشتمون على مبادئها
من جانب آخر . وكل شيء يدفعنا الى الاعتقاد ان حسن الصيت الذي
يرافق انوشروان راجع الى هؤلاء الكهنة ، وان سوء الرائحة التي
تبعث من المزدكية راجعة اليهم ايضا . فهل بعد هذا ما يجيز للاب
الكرملى خلع المزدكية على الشاعر ، وهو لا يعرف حقيقةها بعد ان
شوهتها الاهواء تشويهاً معيباً ! وبعد ، فلنفرض ان تلك البدعة على ما هو
مزعوم عنها ، فهل فسق الشاعر ومجونه دليل على انه منها ؟ لو كان
الامر كذلك لاضطررنا ان « نمزك » عدداً من الناس وفيراً . ثم ان
انتحال جده الحارث لهذه البدعة غير مقرر^(٣) ، ولو كان مقرراً لما افادنا
شيئاً في ما نلتمسه من دين الشاعر ، لان ما يصح على جده قد لا يصح
عليه ، خصوصاً ونحن لا نكاد نتوهم ان الا منتحلي المزدكية عافوها
بعد ان نكبها انوشروان اشد النكبة .

واما اصحاب القول الاخير — اي انه كان نصرانياً — فحامل

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٥ عدد ٨ صفحة ٨٨٦

(٢) مروج الذهب للمسمودي ، طبعة بولاق ، جزء اول ص ١٢٧

(٣) راجع رد الاب شيخو، المشرق، سنة ١٩٠٥ عدد ٨ ص ١٠٠١ فإيلي

لوائهم الاب لويس شيخو^(١) . ونحن على احترامنا للرجل وخدماته لا نملك ان ينعرنا ارتياب في براءته من العصبية . ومن المؤسف ان يظل للدين يد في اعمال العلم . نقول من المؤسف ان تدفع النعرة بعض المسامحين الى حسابان المسيحيين ادعياء في العربية ، فتدفع النعرة بعض المسيحيين كالاب شيخو ان يسكب ماء العمد على عدد عديد من الاشخاص كما كثر من نجد في كتابه شعراء النصرانية ، ليري ان اللغة انما اعتزت بهذا الدين ، وغنيت بماثر ابنائه . ومع هذا كله فيحسن بنا اعتبار براهينه التي تكاد تنحصر في سبعة وهي : خلوشعر امريء القيس من اثر الشرك ، واقراراه بوحدانية الخالق ، وذكره للشيء الكثير من الامور النصرانية ، ونصرانية امه فاطمة اخت المهمل النصراني ، وخروجه الى القيصر ، وما كتبه المؤرخان ننوز وبرو كروب عن علاقات القيصر به ، وانتشار النصرانية في قبيلة كندة .

وليس من العدير اكتشاف الوهن في هذه الحجج ، اذ بعضها يكاد يصدق على جميع شعراء الجاهلية ، وبعضها مبني على خطأ اشرنا اليه ، وبعضها يحتمل ضرورياً من التأويل ، وبعضها لا يخول البت بامر دون آخر فاذا كان شعره خالياً من اثر الشرك ، فاي شعر جاهلي آخر ينضح بهذا الاثر ؟ ولعل هذا من اوضح البراهين على ان الشعر الجاهلي بجملمته لا يمثل عقائد بيئته وبالتالي هو مشبوه^(٢) . ثم من اين لنا ان نحكم هذا

(١) مجلة المشرق ، سنة ١٩٠٥ ، عدد ٨ ، ص ٩٩٨

(٢) في كتاب نكلسون ص ١٣٤ ، ان الرواة المسلمين كثيراً ما كانوا يستبدلون كلمة اللات ، الالهة الجاهلية ، بكلمة الله ، فاي قيمة علمية لورود ذكر الله في شعر امريء القيس بعد هذا ؟

هذا الحكم من شعره ، والادلة كثيرة على ان ما وصلنا منه مشوه تلاعبت به الابدي الانيمة ، فضلا عن ان هذا الخلو المزعوم من الشرك لا يدل على انه كان نصرانياً ، بل لا يدل على انه كان مشركاً . أفيريدنا الاب ان نقول كان امرؤ القيس نصرانياً لسكوته عن الشرك ، و كان امرؤ القيس مشركاً لسكوته عن النصرانية ؟ واذا كان مقراً بوحداية الخالق فهل اقراره الحجة الدامغة لنصرانيته دون يهوديته مثلاً ، وكلتا عما عرفت في الجزيرة منذ زمن قديم . وكم من شاعر جاهلي غيره اكرم من ذكر الله والتوحيد ؟ ثم من يكفل لنا صحة الشعر الذي يستند اليه في تأييد هذا الزعم . وما هو هذا الشيء النصراني الذي اتى على ذكره ؟ وها نحن نطالع شعره فلا نعثر الا على بعض تشابه بمصاييح الرهبان المزهرة في ليالي الصحراء ! ولا نعبأ بما يذهب اليه من ان امه فاطمة نصرانية ، واخت المهمل النصراني ، فقد شككنا اشد الشك في هذه القرابة . وهبنا لم نشك فيها ، فقد تحتاج نصرانية فاطمة والمهمل الى برهان قبل كل شيء ، وقد نحب ان نعرف اذا كانت فاطمة هذه تزوجت نصرانياً ، او اضطرت من تزوجته الى النصرانية قبل رضاها به بعلاً . ثم ماذا يفيد خروج الشاعر الى القيصر في نفي او تثبت المسألة التي نحن بصدد حلها ؟ ومن قال للاب ان المؤرخين نونوز وبروكوب يتمكنان عن امريء القيس لا عن آخر ؟ وبعد ، فنظنه قرأ شيئاً عن تحمس يوستينياوس للمسيحية فاستخرج انه لا يعقل ان يعامل غير مسيحي معاملته الحسنة لامريء القيس . ولكنه جهل المصالح السياسية وما قد تقتضيه من ضرب الدين عرض الحائط . فاما احتجاجه ان النصرانية كانت منتشرة في قبيلة كندة فخري بالتوقف عنده ، لانه

خير ما احتج به الاب ° . واذا صح ملنا بعض الميل الى نصرانية الشاعر
على اننا لم نقطع بها ° لان قوله كانت منتشرة فقط ، لا يعني سوى ان
قسما من القبيلة كان يدين بها ، ومهما كان ذلك القسم كبيرا ، فليس ما
يحتم ان يكون امرؤ القيس منه لا من الاقلية (١)

واخيراً لقد طال علينا العهد ونحن نهدم ، ولا بد من نتيجة نحملها
في ذهننا ° وقد تلمسناها اقصى التلمس ، فلما توصلنا اليها وجدنا انها
لا نعلم ° وكيف تريدنا ان نعلم ، وليس لدينا الاس الثابت الذي نعتد
عليه ؟ فشعره الذي كان يكون انفع المصادر واثقها غير مسلم بصحته ،
فضلاً عن ان درسه على علاته لا ينتهي بنا الى نتيجة ما

(١) هذا مع ما ينقل الاب الكرمل من ان هناك فئة تزعم ان كنفدة

فيها اليهودية دون النصرانية - مجلة المشرق ، سنة ١٩٠٥ ، عدد ٨ ص ٩٤٩

دنيا من الكرواح عر ✓

٧ - صحة شعره

لدينا مقدار من الشعر غير قليل منسوب الى امرئ القيس . فما هي مواضعه ؟ وهل ينتظر ان بطرقها شاعر مثله قضى تلك الحياة التي قصصناها وحققناها ، وكان له تلك الشخصية التي الممنا ببعض اطرافها واي مواضع اخرى يمكن ان يكون قلب فيها شاعريته ، ولكن لم يبق لنا منها آثار ؟ نرى انه لا بد من علاج هذه المسائل في مستهل الفصل ، اذ هي الاس الذي سنطمن اليه في سائرہ .

نتصفح ديوان هذا الشاعر ، فاذا انت امام غزل وسرد للوقائع الحية ، ولهو ووصف للصيد والفرس والناقة ، وتجوال وتصور للبروق والامطار ، وغضب وتهديد لقتلة ابيه ، وتعظيم ومدح لبعض اسراد القبائل ممن بشوا له واحسنوا مثواه في محنته وتحقير وهجو لبعضهم ممن اشاحوا عنه الوجه ولم يلينوا له الكنف . اصف الى ذلك تنفا في الفخر ، وبعض مائعات مع الشعراء كعبيد بن الابرص ، وعالقمة الفحل ، والتوأم الشكري .

وهنا نقف لنستعيد حياته فلا نستطيع الا ان نعتقد بضيا ع الكثير من هذا الشعر ، لان في اخلاقه وسيرته ما هو غير ممثل ابدأ في ديوانه وهل من المعقول ان يدمن الخمر ذلك الادمان الذي عرفناه ثم لا يتغنى

بها في مقطوعة من مقاطعه ، بل لا يكاد يفوه بما يشف عما له بها من
كلف شديد ؟ وكذلك هل من المعقول ان يسافر الى القسطنطينية ،
وهي الحاضرة العظمى ، وبقيم في بلاطها الفخم الا نيق ، ويخالط القيصر
وحاشيته ، ويتمتع بما يتمتعون به من اسباب الحضارة ^(١) ، ولا يترك
في آثاره ما يدل على فعله سوى بيت واحد :

ونادمتُ قيصرَ في ملكه فأوجهنى ور كبت البريدا ^(٢)

ثم اين هي شخصية الامير الفارس الممتلىء نخوة ، المترع الما مضيضاً
لما حل باسرتة ، الطالب للشار ، الطامح الى التاج بعد موت ابيه ؟ اين
هي تلك الشخصية التي لا نكاد نتصور غيرها ؟ نقلب شعره في هذا
العهد من حياته ، فلا تقع الا على صعلوك ، يمدح وباعث مدحه المنفعة
المادية ، ويهجو وباعث هجوه المنفعة المادية ، ابداً يلتبس حماية غيره
في كثير من التزلف والتملق .

وحبذا لو اقتصر الامر على هذا الضياع الكثير المؤسف ، ولم تعمل
العناصر الاثيمة على افساد ما تبقى لنا ، بحيث صرنا لا نأمن الركون
اليه . فمن تلك العناصر تراعي الشقة بيننا وبينه ، وسقوط شعره اليها
عن طريق الحفظ والرواية . وحسبك للدلالة على كثرة وقوع المسخ
والتحوير عن هذه الطريق ، بما قاله ذو الرمة من انه يكتب شعره ،
فالكتابة احب اليه من الحفظ ، وما علق الجاحظ على هذا القول من ان
الاعرابي ينسى الكلمة قد سهر الشاعر في طلبها ليلة فيضع في موضعها

(١) راجع في الادب الجاهلي ص ٢١٦

(٢) ديوان امريء القيس ص ٤٣

كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس^(١) . ولا يزال يجاذب خاطرها ان كثيراً
من قصائد امريء القيس ذات الروي الواحد اختلطت على الرواة ،
فلفقوا بعضها الى بعض واتونا بهذا الشعر الذي ينكر فيه البيت الاخر
لما هو عليه من سوء تأليف وثقطيع نظام^(٢) . والشواهد على ذلك كثيرة
لا تحصى . فافقراً ما ينسب اليه في قناصين ثعلبين لقيهم في طريقه الى
السموأل وكانوا من جيران صاحب الابلق فصحبوه اليه :

رب رام من بني ثعل	متلج كفيه من قتره
عارض زوراء من نشم	غير باناة على وتره
قد ائته الوحش واردة	فتنحي الزرع في يسره
فرماها في فرائصها	بازاء الحوض او عقره
برحيش من كنانته	كتلطي الجمر في شرره
راشه من ريش ناهضة	ثم أمهاه على حجره
فهو لا تنمي ريشته	ما له لا عد من نفره
مطعم للصيد ليس له	غيرها كسب على كبره
وخليل قد افارقه	ثم لا ابكي على أثره
وابن عم قد تركت له	صفو ماء الحوض عن كدره ^(٣)

(١) الحيوان للجاحظ ، طبعة محمد ساسي سنة ١٩٠٧ جز ١ ص ١

(٢) راجع في الادب الجاهلي ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٣) ديوان امريء القيس ص ٦٠ - ٦١

ثم بين لي علاقة البيتين الآخرين بما قبلهما . وارني اي مدخل
لها في سياق وصف هذا الرامي من بني ثعل . وهل حرج علينا اذا
حسبناهما من قصيدة اخرى الحقابذه القصيدة الخاقا وليس منها في
شيء ، هذا ان كان هناك نصيب من الصحة لجميع الشعر . وكذلك
اقرأ ما ينسب اليه حين لبس الحلة المسمومة التي اهداها اليه قيصر
فاسرع فيه السم وشعر بدنوا الاجل :

تأوبني دائي القديم ففلسا احاذر ان يرتد دائي فأنكسا
الما على الربع القديم بعسعا كأنني انادي او اكلم اخرسا
فلو أن اهل الدار فيها كهنا

وجدت مقيلا عندهم ومعرسا
فلا تنكروني إني انا جاركم

ليالي حلّ الحي غولا فالعسا
فاما تربني لا أغمض ساعة
فيا رب مكروب كررت وراءه

وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا^(١)
ثم فكر لعلك تكشف صلة للآيات الثلاثة بعد المطلع بسائر
الشعر . وحدثني الا يخالفك ظن ان هذا البيت المصروع :
الما على الربع القديم بعسعا . . .

اولى ان يكون مطلع قصيدة اخرى غرضها غير غرض هذه التي
نحن بصدها . وكذلك اقرأ هذا القسم من لاميته المشهورة :

الاعم صباحاً ايها الطلل الباني

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن الا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم ما يبيت باوجال

وهل يعمن من كان احدثُ عهده

ثلاثين شهراً في ثلاثة احوال

ديارٌ لسلمي عافياتٌ بذى الخال

الح عليها كلُّ اسحم هطال

ثم اعتبر البيت الرابع ، وما فيه من تصريح واختلاف عن نفس
الايات الاخرى ، وما هو عليه من تقلقل في موضعه ، اليس من الراجح
انه مطلع جديد ؟ ثم التفت الى ما يزعم بعض الرواة عن هذه القصيدة
من ان امراً القيس قالها بعد ان نهاه ابوه عن نظم الشعر^(١) ، والى ما يزعم
البعض الاخر من انه قالها بعد مصرع ابيه في طريقه الى قيصر^(٢) ، والى
ما اعتقده عبدالقادر البغدادي من ان القصيدتين مستقلتان^(٣) وصارحني
الاتميل ميله ، وترمي الرواة بالتخليط بين تينك القصيدتين ، خصوصاً
بعد ان تنظر في معنى هذين البيتين :

(١) ابن قتيبة ص ١٧

(٢) خزانه الادب جزء ١ ص ٢٢٧

(٣) = = = =

كأني لم اركب جواداً للذة
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل
ولم اتبطن كاعبأ ذات خلخال
لحلي كرى كرة بعد إجحاف

وهذين البيتين ،

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة

كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وتنتبه الى ما قد تشير اليه الايات الاربعة من غصة الذكري والسعي وراء الملك ، وذلك لا يمكن ان يكون قبل مصرع ابيه . اما زعم فئة اخرى من الرواة ان هذه القصيدة قيلت في ابنة القيصر ^(١) ، فنضرب عنه صفحاً ، لانا شككنا في هذا العشق ، وفي كل ما يدور حوله ، او قل نقينه اذ صرحنا ان التاريخ لا يعرف اصلاً لهذه الاميرة ابنة يوستينانوس ، فضلاً عن ان في القصيدة اسماء اما كن ونساء هي عربية محض « كاذرات » و « يثرب » « و سلمى » و « بسباسة » . ومن تلك العناصر الاثيمة التي عملت على افساد شعره ، حرص اصحاب النحو والبيان والبديع وتفسير القرآن واحوال العرب وغير ذلك من العلوم التي راجت سوقها في العصور العباسية ، ان يكون لهم من الشعر الجاهلي ما يؤيدهم في مختلف دعاويهم . وكيف تريد ان لا يسوء ظننا في هذه الشواهد التي شخنها اللغويون كتبهم ، بعد ان تعرف ان سيبويه في كتابه امتنع من تسمية الشعراء ، اصحاب شواهد

لانه كره ابن يعين الشاعر ، وبعض الشعر يروي لشاعرين ، وبعضه منحول لا يعرف قائله ، وأثر الاعتقاد على شيوخه ، ونسب الشعر اليهم ، فهو يقول انشدنا الخليلي ، او يونس ، او غيرهما ^(١) . واذا كان لا بد من التمثيل ، فاليك هذا المسمط المنسوب اليه :

توهمت من هندٍ معالم اطلال

عفاهن طول الدهر في الزمن الحالي

مربع من هندٍ خات ومصائف

يصبح بمغفهاها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف

وكل مسف ثم آخر رادف

باسم من نوء السماكين هطال

وكأن القدماء فطنوا الى ان الايات مصنوعة للاستشهاد ليس الا واقروا انها منحولة ^(٢) . وكم احب ان نتصفح باب « التقفية والتصريع » من عمدة ابن رشيق ، لانك لا تلبث ان تشعر بما قدمنا لك من حرص العلماء على تعزيز اقوالهم باقوال الجاهليين عامة وامريء القيس خاصة وثقيس على ابن رشيق وعمدته عشرات المؤلفين والمؤلفات . واليك هذا البيت في المدح :

(١) خزانة الادب جزء ١ ص ٢٥٢

(٢) العمدة لابن رشيق جزء ١ صفحة ١١٨

افادَ فجَادَ وسَادَ فرَادَ وقَادَ فزَادَ وعَادَ فافضل^(١)

فمن يكاد يشك ان ما فيه من الهندسة اللفظية ليس من سهولة طبع الجاهلية ، بل من تكلف علماء البديع .

ولك ان تسوق هذا المساق بعض شعره في الفرس ايضاً وتتخذ حجتك من قصيدته وقصيدة علقمة الفحل اللتين يزعم الرواة انهما تحاكما فيهما الى ام جندب^(٢) فكلاهما اشبه ان تكون مكذوبة على الشاعرين . ما قرب دليل توافقهما في المباني توافقاً لا يمكن حمله على تواردهما في الاطرار ، ورقع المائر على المائر كما يقولون . جاء في قصيدة امرئ القيس :

فانك لم تقطع لبانة طالب

بمثل غدو اورواح مؤوب

وجاء في قصيدة علقمة :

فانك لم تقطع لبانة طالب

بمثل بكور اورواح مؤوب

وجاء في قصيدة امرئ القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها

وماء الندى يجري على كل مذنب

بنجرد قيد الاوابد لاحه

طاراد الهوادي كل شأو مغرب

وجاء في قصيدة علقمة :

وقد اغتدي والطير في وكناتها

وماء الندى يجري على كل مذنب

(١) ديوان امرئ القيس صفحة ١٣٤

(٢) نجد نص القصيدتين في ديوان امرئ القيس صفحة ١٣ فإيلي

بمنجرد قيد الاوابد لاحه طراد الهوادي كل شأ ومغرب
وجاء في قصيدة امرئ القيس :

وعين كمرآة الصنّاع يديرها بمحجرها من النصف المقلب
وجاء في قصيدة علقمة :

بعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النصف المنقلب
وجاء في قصيدة امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا
وارحلنا الجزع الذي لم يشقب
وجاء في قصيدة علقمة :

كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يشقب
هذا هو اتفاقهما من ناحية المباني . ومثله او اشد اتفاقهما من ناحية
المعاني . وتستطيع ان تقابلهما معنى فتفضي اخيراً الى ان الشاعرين
لم يستقلا الا بهذا البيت :

وللساق الهوب وللسوط درّة وللزجر منه وقع أهوج منعب
وهذا البيت :

فأقبل يهوي ثانياً من عنانه يمرّ كمرّ الراح المتحلب
وتؤمن انها ان كانا ننافساً حقاً ، لم يقولوا الا هذين البيتين ،
فبنت ام جندب حكمها عليهما . ولا يخالف الداهيين الى ان في القصيدة
كثيراً من اسلوب امرئ القيس ومسالكه في التعبير ^(١) فرعهم

يطابق الواقع ، على أن ذلك مما يدعونا إلى الشك أكثر مما يدعونا إلى اليقين . فإن هذا التكرار الدقيق في اللفظ والمعنى سمة من سمات الاصطناع ، لأنه لا يعقل أن يكون الشاعر محدود الشاعرية عقيماً لا يتعدى محوراً رسمه لنفسه في قصيدة من قصائده ثم راح يدور حوله ويدور في غير كلال ولا ملال

وعنصر العصبية القبلية لم تكن له يده في هذا الفساد الشائن ؟ أجل كانت له يده القوية ، وقد عرفنا شيئاً من ذلك في درس حياته وإذا كنت ممن لا يؤمنون حتى تضع أصبعك ، فدونك ما يزعم بنو كلب من أنهم قتلوا الحارث بن عمرو ، جد أمريء القيس ، حين استخفى فيهم ، وما يزعم علماء كندة من أنه مات لا كل كبديس صحن^(١) . ودونك ما يزعم بعض الرواة من أن قبادة هو الذي نصب الحارث المذكور على عرش الحيرة لأنه ماله على المزدكية ، وما يزعم أهل اليمن من أنه هو الذي فتحها عنوة^(٢) . فهل بقي عندك ريب باصطدام العصبية حول جد أمريء القيس ؟ وإذا اصطدمت حول جده ، فليس ما يمنعنا من الاعتقاد أنها اصطدمت حوله وشوّهت شيئاً من حقيقته بل هي قد اصطدمت حوله وحول كثيرين غيره في مسألة من هو أول مقصد للقصيد . فادعت الهانية لأمريء ، وبنو اسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب للمهلل ، وبكر لعمر بن قيس المرقش الأكبر^(٣)

(١) الأغاني جزء ٨ ص ٦٤

(٢) = = = ٦٤

(٣) هكذا في الأصل

واياد لابي دؤاد^(١) ، فما يضمن ، والحالة هذه ، سلامة شاعرنا من اعظم
 الاذى ؟ ولقد بلغ حد هذه العصبية ان تدعي بنو اقيش بعض شعر
 امريء القيس لعمر وبن قميئة^(٢) . ولا تتردد ساعة في القول ان ما
 اضطر اليه الشاعر من التثقل في البداية بعد موت ابيه اوسع المجال
 لاصحاب الاهواء ان ينحلوه الشعر مدحاً وهجواً ، بل ان يفتعلوا له
 العلاقات ببعض القبائل والاسياد افتعالاً^(٣) . ولا نرانا مشتطين اذا
 امتنعنا من التسليم بشعره القبلي امتناعاً كلياً . وقليل امثال تكفي
 لتبريرنا . فدونك هذا البيت :

فابْلِغْ مَعْدًا وَالْعِبَادَ وَطِيئًا

وكندة اني شاكرٌ لبني ثعل^(٤) ؟

الا تنشق منه العصبية تنشقاً ؟ الا تلمس فيه متهوساً من بني ثعل
 مصطنعاً له ، كاذباً به على امريء القيس ، مفاخرأ معدا وطيا وكندة
 والعباد اجمعين ؟ ودونك هذا البيت في بني تيم :

اقرّ حشا امريء القيس بن حجر

بنو تيم مصايحُ الظلام^(٥) !

فان « مصايح الظلام » اللقب الذي عرف به بنو تيم فيما بعد

(١) المزهر للسيوطي جزء ٢ ص ٢٩٦

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٩

(٣) راجع في الادب الجاهلي ص ٢١٤

(٤) ديوان امريء القيس ص ١٢٢

(٥) ديوان امريء القيس ص ١٣٩ طالع الحاشية ايضاً

فليس الاّ من قبيل اللقب «عبيد العصا» الذي اسلفناه ان بني اسد عرفوا به
بعد ضرب حجر لسراشيم وقد امتنعوا من اداء الاتاوة . وما اشفهما عن
العصبية . ودونك هذين البيتين في سعد بن ضباب الايادي :
وتعرفُ فيه من أبيه شمائلاً

ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا

ونائل ذا ، اذا صحا واذا سكر؟^(١)

ولا نحتاج الى التعليق عليهما ، لان في اسفافها المضحك ما يغنيننا .
ولو شئنا ان نأتيك بعشرات الاقوال من هذا النمط لفعلنا ولكننا
نخشى املا لك ، ونعتقد انك لن ترتاح فيما بعد الى ما يحمل على امرئ
القيس من هذا المدح والهجو القبلي .

وعلى ذكر الاسفاف المضحك في البيتين السابقين ، يحسن بنا
الالتفات الى ان شيئاً غير قليل من شعر صاحبنا غث ، فاضح الغثاثة ،
لا يتمشى مع ما اثر عن الجاهلية من متانة السبك ، بل لا يتمشى مع
ما عرف عنه من قوة التركيب . ولذلك لا نملك ان نشك فيه الشك
كله . وآية ما ندعيه هذا الرجز الذي ينسب اليه عندما بلغه موت ابيه :

نطاول الليلُ علينا دمُونُ دمُون انا معشرُ يما نونُ
وإنا لأهلنا محبونُ

وهذا الرجز الآخر الذي ينسب اليه عندما احسن المنية :

وخطبة محبرة وطعنة مسحونة

وجفنة مشعجيرة تبقى غداً بانقره

وعنصر التأليف القصصي لم تكن له يده في شعر امرىء القيس كما كانت له يده في قصة حياته ؟ بلي ! ولا بأس عليك اذا عددت من باب هذه الماتنات بينه وبين التوأم اليشكري وعبيد بن الابرص^(١) فهي متكلفة ظاهرة التكلف تلفحك من معانيها والفاظها نشوفة ادمغة اللغوبين وشغفهم بالمعنى العويص .

ومغمزٌ بل مطعن آخر في شعر امرىء القيس ، ولعله اوسع ما ذكرنا من المغامز والمطاعن ، يشمل جميع شعره ، وهو قلة امانة الرجل الذي نقله ، وفساد احساسه بشرف الصدق في العلم . حماد ! ومن لم يتأذ منه ومن القدر الذي لم يتح للمعلقات ناقلاً غيره . ولا يبدد الى ذهنك انه نقل المعلقة من شعر امرىء القيس فقط . انه نقل جميع شعره ، الا قليلاً نقله ابو عمرو بن العلاء^(٢) ، مما يزيد في مصيبتنا ومصيبة امرىء القيس . ثم من هو الذي جمع هذا الشعر ؟ عالم اسمه ابو سعيد السكري^(٣) . وهما جارينا المترجمين له على فضيلته وورعه ، فلا نستطيع انكار الحقيقة الصلحاء انه عاش في القرن الثالث للهجرة ، وانه بعد عن امرىء القيس اربعة قرون او اكثر وان التسليم لرجل بعد عمه يجمعه هذا البعد لامر غير يسير مع شدة التقصير العلمي الذي لم يخل

(١) تجد نصها في ديوان امرىء القيس ص ٦٢ - ٦٣ و ص ٦٨ - ٧٠

(٢) الزهر جزء ٢ ص ٢٥٣

(٣) ترمة الالباء ، الطبعة الحجرية ، ص ٢٧٤

منه السواد الاعظم من علمائنا

وفي اختتام ٤ ليس من النزاهة العلمية ان نخرج بك من هذا الفصل وانت مطمئن الى اننا اول من استحدث هذه الشكوك القاسية . فقد عهد لنا طريقها القدماء حين ترددوا في قبول قسم من المعلقة ٤ وراوه منافياً لشخصية الشاعر ٤ وهو هذه الايات في وصف الوادي والذئب :

وقربة اقوام جعلت عصامها

على كاهل بني ذلول مرحل

وواد كجوف العير قفر قطعه

به الذئب يعوي كالخلبع المعيل

فقلت له لما عوى ان شائنا قليل الغنى ان كنت لما تمول

كلانا اذا ما نال شيئاً افاته

ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

ونفخواها : كم قربة اقوام حملتها على كاهلي الموطأ للحمل ٤ وكم

واد مجذب مقفر قطعه ٤ فسمعت الذئب يعوي فيه ٤ كانه طريد لفظته

عشيرته لكثرة رذائله ٤ وهو فوق هذا معدم كثير العيال يلحون عليه

بالنفقة وليس لديه ما يكفهم عنه ٤ فقلت له لما عوى كانه يشكو

دهره ٤ ان شائنا شأن فقر لا ثراء ٤ كلانا مسراف متلاف لا يكاد

يجوز الشيء حتى يبدده ٤ ثم هو يكمد حتى يهزل الهزال الشديد .

وليس عليك ان تجهد نفسك حتى تعرف ان هذا بعيد عن روح امرى

القيس الامير المتترف الذي كانت تتبعه حاشيته من مكان الى آخر وفيها القيان والطهارة والسقاۃ ، بل ليس عليك ان تجهد نفسك حتى تعرف انه بكلام الصعاليك اشبه ، وبهم اشكل ، وان القدماء غير مخطئين حين اضافوه الى تابط شرًّا^(١) .

ثم انهم شكوا ايضا في هذه الابيات التي يزعم بعض الرواة انها اول شعر قاله :

اذود القوافي عني زيادا زياد غلام جري جوادا
فلما كثرن وعيننه تخير منهن شتى جوادا
فاعزل مرجانها جانباً واخذ ياقوتها المستجادا
فنسبوها الى امرىء القيس بن بكر ، ونسبوها الى امرىء القيس بن عابس وكلاهما كندي^(٢) .

وشكوا في قصيدته في تهديد بني اسد
تطاول ليملك بالاثمد ونام الحلي ولم ترقد
وبات وبات له ايلة^(٣) كيلة ذي العائر الارمد^(٤)
فنسبوها الى امرىء بن عابس^(٥) . ولعل من الخير ان نلفتك الى ان

هذا الاختلاف وقع لتشابه الاسماء والتباسها ، وانه ليس من البعيد ان تكون كثرة الشعراء المعروفين بامرئ القيس ، وشهرة صاحبنا منهم ،

(١) خزائن الادب جزء ١ ص ٩٣

(٢) ينظر ذلك البسته في ادباء العرب ص ٤٥

(٣) نجد نص القصيدة في الديوان ص ٣٩ - ٤١

(٤) ادباء العرب ص ٤٤

لاشتهم فيه ودست شعرهم في شعره
ثم انهم شكوا في قصيدته :

أحار بن عمرو و كافي خمر و بعدو على المرء ما يأتمر
ففسبوها الى ربيعة بن جعشم من اولاد النمر بن قاسط^(١) .

ثم ابن صاحب الاغاني ، خلاف شكة في « القافية » في مدح
السموأل ، اشار الى بيتين دخيلين على المعلقة وهما :

فلا تحرجي من سنك مهجة عاشق

بلى فاقتي لي ثم قتي لي ثم فاقتي لي

فلا تدعي ان تفعلي ما اردته

بنا ما اراك الله من ذاك فافعلي^(٢)

وكذلك الجاحظ لا يفوته حين يستشهد بقصيدته :

كانها حين فاض الماء واحتملت

فتخاء لاح لها في القفرة الذيب

ان بصرح « قال امرؤ القيس ان كان قاله^(٣) »

وقد استلم هذا الشك الدكتور طه حسين ، فتأدى فيه ، وحدث

ثورة في البحث الادبي نحن من المكبرين لها المنتفعين بها وقد ماشيناه

في جميع آرائه حتى هذا الحد ، غير اننا لن نجد بداً من الاقتراق عنه في

(١) خزانة الادب جز ١ ص ٣٥٤

(٢) الاغاني جز ٨ ص ٦١-٦٢

(٣) الحيوان للجاحظ جز ٦ ص ١١١

٨ - المعقول من شعره -- تقديره الفني

بعد ان احطنا بالشكوك القاسية هذا المقدار من شعر امرىء القيس ^{١٩٤٧} فما الذي تقبل ؟ الا تقبل شيئاً على الاطلاق ، ونختم هذا الدرس الجهد الطويل بان صاحبنا لم يبق له بين ايدينا قليل او كثير ؟ لا ان هذا لغو مفرط ، اذ لا يزال من آثاره شيء يمثله ولو بعض التمثيل . ونحن نستطيع الركون اليه لانه ليس فيه ما يوتنفنا موقف الاشتباه . نغني انه ليس فيه رائحة للعصبية القبلية ، ولا لتنطس اللغويين وعلماء الخيل والنوق ، فضلاً عن انه ينطبق احسن الانطباق على شخصية صاحبه ، كالشعر الذي نحلله في هذا الفصل ، ونعتقد ان لا غبار عليه ، الا ان يكون امتداد الزمان ، واهمال الرواية ، وتقصير الحافظة ، بدلت من الفاظه ، وخلطت بين اجزائه ، وتلك امور ليس في امكاننا ولا امكان احد ان يشير اليها او يلصقها باليد .

اردنا بهذا الشعر غزل امرىء القيس ، ومقاطع في وصف الفرس والصيد ، واشتاتاً من الابيات ، موزعة على غير نظام في تفاريق القصائد المنسوبة اليه .

اما الغزل فقد يأبى علينا المتخرجون بحشه ، خشية ما قد يجره من الفتنة والاغواء ، ولكننا سنهضي في عملنا ، لانا نقاد لا مبشرون

فضلاً عن اننا لا نرى قيمة لتلك الاخلاق التي لا تستقيم وتصلح الا
يضرب ستار صفيق عليها ، اذا انزاح عن بيت شعر اعوجت وفسدت .
تعلم انه اجتمع لصاحبنا كل ميسرات التبذل والتعهر : شرف
الاميرة ، وفرة المال ، نضارة الشباب . فاطلق نفسه على هواها ، لم
يضبطها او يملك من عنانها . لقد احس جمالات المرأة اشبع احساس ،
فحام حول مغاويرها ومفاتنها في خير ما تناهي اليها من مقاطعه ، ولكنه
لم يحسبها الاحساس الروحاني ، لم يحسبها حلاوة ثقتها الروح ،
لم يتخذها مقدساً للخشوع والابتهاال ، لم يعتلقها لشيء من المناسكة
واللهو البريء وانما حسبها رعدة تنتاب الجسد ، واتخذها حانة للسكر
والعريضة ، واعتلقها لنشوة بهيمية اثيمة . فجاء غزله مترشحاً بالشهوة ،
كظيظاً بالتصاوير الحسية يبلغ بعضها اقصى درجات الفحش ، مزحوماً
بالافاظ المادية ضخمة حشو الفم والاذن ^(١) ، اليك ما قال من معلقته :

مهففة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل

كبكر المقاناة البياض بصفرة

غذاها نير الماء غير المحلل

تصد وتبدي عن اسيل وثقي

بناظرة من وحش وجرة مطفل

(١) لم يخطيء ابن عبد ربه حين عد امراً القيس من اصحاب النفس البهيمية
ولم يخطيء الرواة تمثيل روحه حين اضافوا اليه هذا القول في السرور «بيضاء
مصبوبة» ، بالطيب مشوبة ، بالملاحم مكبوبة » [العقد الفريد جزء ٤ ص ٢٤٧]

وجيدٌ كجيدِ الرَّمِّ ليس بفاحشٍ
إذا هي نصته ولا بمعطّل

وفرعٍ يزِينُ المتنَ اسلُودَ فاحمٍ
اثبتِ ككفنو النخلة المتعشك

غداثره مستشزرتُ الى العلى
تضلّ المدارى في مثني ومرسل

وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مخصرٍ
وساقٍ كانبوبِ السقيّ المذلّ

وتضحى فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها
نؤومُ الضحى لم تتنطقْ عن تفضل

وتعطو برخصٍ غيرِ شثنٍ كانه
اساريعُ ظبيٍ او مساويكُ إبل

تضيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنها
منارةٌ ممسي راهبٍ متبطل

فهل تراه خارجاً عن الحس والمادة في وصف انهضام بطن معشوقته
وانصقال صدرها ، وامتزاج بياضها بالصفرة ، ورقة خدها ، وامتلاء
الحاظها بالعطف ، وجمال عنقها المحم ، واسوداد جالانها ، واستتار

خصلها ، ولطافة خصرها ، وانملاص ساقها وبضاظته ، وطيب فراشها ،
ونعومة اناملها المحمرة الاطراف وضوء وجهها ؟ هل تراه في كل هذا
شافا عن اثر روحانية ؟ لا ! لانه لا يستطيع ان يستلذ المرأة الالجواسه
الحسدية . واليك ما قال من لاميته :

لطيفة طي الكشح غير مفاضة

اذا انفتلت مرتجة غير متفال

اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها

تميل عليه هونة غير معطال

كدعص النقا يمشي الوليدان فوقه

بما احتسبا من لين مس وتسها

اذا ما استحمت كان فيض حميمها

لدى متينتها كالجمان لذي الحال

فهنا ايضا حس ومادة في وصف هيف خصرها ، وارتجاجها ،

وطيبها ، وحسن متجردها ، وحليها ، ولين ردفها ككثيب الرمل ،

واستحمامها ، وانفصال الماء عن كتفيها كاللؤلؤ المتناثر

وقد اشتق امرؤ القيس اسلوبا في الغزل ، هو قصصي اخباري اكثر

ما يأتي فيه على طريقة ترصده الى عشيقته ، وتبادل الاحاديث بينهما ،

وتلذذه بها في طمانينة وفراغ بال . جاء في معلقته

وبيضه خدر لا يرامُ خباؤها

تمتعتُ من لهُو بها غيرَ معجلٍ

تجاوزتُ احراساً اليها ومعشراً

عليّ حراساً لو يُسرُّونَ مقتلي

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت

تعرّضَ اثناء الوشاحِ المفصل

فجئتُ وقد نضت لنومٍ ثيابها

لدى السترِ الا لبسة المتفضل

فقلت يمينَ الله مالِك حيلة

وما إن ارى عنك الغواية تنجلي

خرجتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا

على اثرينا ذيلَ مرطٍ مرحل

فلما اجزنا ساحة الحيّ وانتحي

بنا بطنُ خبتٍ ذي حقافٍ عتقل

هصرت بفودي رأسها فتأملت

عليّ هضم الكشح رياء المخلد

فتأمل كيف تمتع بهذه الفتاة الخدرة ما بعد ان تجاوز اليها الاحراس

الحراس على قتله ، في ساعة متأخرة من الليل ، والثريا منشورة على صدر
السماء كالوشاح المرصع بالجواهر ، فصادفها خالعة كل ثيابها الا ثوبها
الذي ننام به ، فدهشت ، وقالت له : كم انت غافل عن عواقب الامور
وكم انت غوي لا تنجلي عنك الغواية ! فلم يكن منه الا ان اجتذبتها
وخرج بها بمشيان ، فتطمس آثار اقدمهما ذيول ملفها الليلي المجرجه
وراءهما ، حتى اذا جاوزا ساحة الحي ، وصارافي مأمن ضغط جانبي رأسها
بيديه فتايلت عليه دقيقة الخصر بضة الساق . وجاء في لاميته :

سموت اليها بعد ما نام اهلها

سموت حباب الماء حالاً على حال

فقلت سبائك الله انك فاضحي

الست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت يمين الله ابرح قاعداً

ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر

لناموا فما ان من حديث ولا صال

فاصبحت معشوقاً واصبح بعليها

عليه قتام كاسف اللون والبال

وهنا ايضاً فلتة ليلية الى فتاة بعد ان استولى النوم على اهلها ولكن
باي تحفظ ، واختلاس خطو كي لا يشعر احد ؟ ! وهنا ايضاً تأنيب

من الفتاة وخشية للفضيحة . وهنا اصرار من الشاعر على القعود ولو كان
 في الامر منيته ، حتى يستكمل حظه من تشايقها نفسه .
 وكانا بالدكتور طه حسين يشفق علينا من هذا الكد الذي تكلفه
 في تحليل هذا الشعر كما لو كان جداً من الامر . ولا نعلم لماذا يرفضه
 وهو يرشح بشخصية واحدة قلباً وقالباً . لا نعلم سوى انه وجد مثاراً
 للشك في فخسه الشديد الذي هو موافق لروح الفرزدق ، وفي اسلوبه
 القصصي الذي هو خاصة عمر بن ابي ربيعة . فلم يجد ادنى مشقة ان يستخلص
 ان رواة متأثرين بروح وفن الشاعرين الامويين اصطنعوه . ذلك بعد
 ان مال ميلاً قوياً الى ان الفرزدق هو الذي افعل حديث دارة جابل
 وافعل الشعر الذي يدور حوله ^(١) . والحزر والحدس لا يفيان في هذا
 الكلام . فقد نرى من واجب الدكتور - او من حقنا ان نوجب عليه
 ان يقيم لنا الحجة ان حديث دارة جابل لم يكن معروفاً قبل الفرزدق
 وقد نرى من واجبه ايضاً ان يقنعنا ان جميع الروايات الادبية وصلت
 اليه بدون ادنى ضياع ، فهو يستطيع ان يثبت ان احداً من الرواة لم يشر
 الى استفادة ابن ابي ربيعة من الشاعر الجاهلي . بل قد نرى من واجبه
 ان يربنا ان الرواة كانوا متنبئين الى هذا النوع من النقد حتى يطالبهم
 بالمقارنة بين اسلوب امريء القيس وابن ابي ربيعة . اما نحن فنقول لا
 وآية ما ندعيه انه كان عهد فيه الرواة ، وفيه شعر امريء القيس ،
 وفيه شعر بن ابي ربيعة . ولم نجد احداً نلجأ الى هذه الصلة ، وانما كان
 منتهى همهم ملاحقة التشابه والاستعارات والكنايات وما شا كل .
 وقد نرى من واجب الدكتور ايضاً ان يقطع لنا البرهان ان السكوت

عن الشيء دليل بات على عدم وجوده ، بل قد نرى من واجبه ان يظهر
لنا السبب الذي قد يكون حدا الرواة الى اصطناع هذا الشعر . اهو
العصبية القبلية ، وهو انزه ما يكون عنها ، ام اضطرار علماء الخيل
والنوق الى الاستشهاد ، وهو ابرأ ما يكون من تقعراتهم ، ام تعتمد
القصاص للاغراب ، وهو مألوف ليس اقرب منه الى الواقع ؟ نقول هذا
فضلا عن انا نوقن ان الفرزدق كان بعيداً من اضافة هذا الشعر الجيد
الى سواه ، وهو المتها لك على انتحال شعر الناس ^(١) ، وفضلا عن انا
نوقن انه تأثر بامرئ القيس تأثراً يلمس باليد ، اشددة ما كان مولعاً
برواية اخباره واشعاره ^(٢) ، وفضلا عن انا نوقن ان قرشية بن ابي ربيعة
عملت كغيراً على اظهاره وساعدت على ستر عيوبه . ذلك لان قریشاً
سادت العرب فاقرؤا لها بالسيادة الا في الشعر حتى نبغ عمر ، فكان من
عصبيتها ما يدفعها الى تشجيعه ، والا فاما معنى انصراف ابن عباس عن
نافع بن الازرق في المسجد ، وانقطاعه عن مناظرة دينية ، ليصغي الى
انشاد الرائية ، وما معنى قوله : هل استحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا ^(٣)
نريد بهذا ان الدكتور مخطيء حين يدعي ان ابن ابي ربيعة انما عاش
على القصص الغرامي وحده . لقد عاش على نسبه ايضاً .

ويجدر بنا في هذا السياق ان نتعرف الى النساء اللواتي يتغزل بهن
شاعرنا : كلهن مترفات من بنات النعمة ، وقد يكنن اميرات من اسرته
لا ينهنن باكراً ويشددن الى اوساطهن مآزر الخدمة والعمل ، بل لا

(١) ادباء العرب للبستاني ص ٤٧

(٢) العقد الفريد جزء ٤ ص ٣٥٣

(٣) بنقل ذلك البستاني في ادباء العرب ص ٢٠٥-٢٠٦

يبرحن نائمات حتى الضحى ، وفطيت المسك فوق فرشهن :

وتضحى فطيتُ المسكِ فوقَ فراشها

نوؤوم الضحى لم تلتطق عن تفضل

وكلهن منقلدات للحلى الوهاجة كالجمر :

كانَّ على لبَّاتها جمر مصطل

اصاب غصاً جزلاً وكُفُّ باجذال

وكلهن متعطرات مستعملات للطيب :

لطيفةٌ طيَّ الكشح غيرُ مفاضة

اذا انفطلت مرتجَّة غيرَ مثقال

وكلهن مستحمتات تنزلق عن اجسادهن قطرات الماء كالفضه :

اذا ما استحمت كان فيضٌ حميمها

على متنيها كالجمانِ لذي الحال

وكلهن لعبوات ، طلبات للنزه ، يركبن جماهن ، ويقصدن الغدران

للمرح والاعتسال كما في حديث دارة جلجل ، و كلهن خالعات ثيابهن

اذا اوين الى فرشهن ، مكتفيات بغلالة فضفاضة تتبجح بها اجسادهن

وتموج حرة من عناء البسة النهار :

فجئتُ وقد نصت لنوم ثيابها

لدى الستر الا لبسة المتفضل

والان بعد ان لمسنا هذا العنصر الشهواني الرغيب في الجمال الانثوي
عنصر الامارة المتحضرة ، ربيعة القصور ، في ضرب من شعر امريء
القيس ، فننتقل ال ضرب آخر نلمس فيه امارته اللاهية اللاعبة ،
ولكن مشوبة بيداوة قوية . اردنا بذلك وصفه للفرس والصيد والبرق
والمطر ، خصوصاً ما ورد منه في المعلقة . قال في وصف الفرس والصيد
وقد اغتدي والطير في وكنائنها

بمنجرد قيد الاوابد هيكلي
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً

كجلمود صخر حطّه السيل من عل
كميت يزلّ اللبد عن حال متنه

كما زلّت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش . كان اهتزاه

اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح اذا ما السابجات على الوني

اثر غباراً بالكديد المركل
يزلّ الغلام الخفّ عن صهواته

ويلوي باثواب الغنيف المثقل
حريز كحذرف الوليد امرّه
تتابع كفيه بنحيط موصل

له ايطاليا ظبي وسافا نعامة
ضليع اذا استدبرته سد فرجه

بضاف فوق الارض ليس باعزل

كأن على المتنين منه اذا انتهى

مدالك عروس او صلاحية حنظل

كان دماء الهاديات بنجره
عصارة حناء بشيب رجل

فعن لنا سرب كان نعاجه
غذاري دوار في ملائ مزيل

فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم في العشيرة مخول

فألحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها في صرة لم تزيل

فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فظل طهارة اللحم من بين منضج

صفيف شواء او قدير معجل

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه

متى ما ترق العين فيه تسهل

فبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعيني قائما غير مرسل

فهو امير بدوي في هذا الغدو الى الصيد قبل يقظة الطير ، وهو

امير بدوي في ركوب هذا الفرس الرقيق الشعر ، المفيد لا وابد الصحراء

يشدة عدوه ، الضخم الهيكل ، المكتنز باللحم حتى ليزل عنه سرجه ،
الجياش بالصهيل حتى ليغلي على الرجل ، المتدفق في السير وغيره من
الخليل وانية مكدودة لا تزيد على شدة اثارة الغبار . هو امير بدوي
في جميع وصفه للفرس الذي لم نثره كله اشفاقاً من التطويل . وهو
امير بدوي في وصف هذا السرب الذي عن له فاصطاد منه واكل شواء
وغير شواء ، وفرسه الحبيب لا يزال الى جنبه مسرجاً ملجأ على اهبة
لاستئناف السير . وما اخلق امرأ القيس ان يصبغ شعره او شيئاً من
شعره ، باصباغ البادية وهي احدى الاغذية العاملة في شاعريته ، بها
نشأ ، ومدى آفاقها سرح ، ولصورها التقط واخترن ، وفي الوان
مشاهدها غمس ريشة فنه .

ولنلاحظ انه لا يزال واحداً في طريقته واسلوبه . لا يزال صاحب
تلك الاوصاف المادية كما يشهد قوله « قيد الاوابد » . وقوله
« جلمود صخر حطه السيل من عل » ، وقوله « كخزوف الوليد » ،
وقوله « له ابطلا ظي وساقا نعامة » اذ كلها مادية تقع في نطاق الحواس
الجسدية . وكذلك لا يزال سالكاً مسلك القصص ، يؤدي به مراده
الى الافهام ، كما يشهد تفصيله الخبر عن امر الصيد من خروجه في ساعة
ياكرة ، الى التقائه بالسرب ، الى مطارדתه له وفوزه ببعضه ، الى جلوسه
واكله ما اصطاد . وقال في وصف البرق ، وهو من المعلقة :

اصاح ترى برقاً اريك وميضه كعم اليدين في جي مكمل
يفضي سنه او مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المقتل

ويمس بنا الإشارة الى شيئين في هذه الايات ، اولاً تمثيله للمادي

المحسوس ، وثانياً تشبيهه بمصاييح الرهبان المزهرة في الليل ، وهي اذ
ذاك منتشرة عرض البادية ، لكثرة الرهبان المعتزلين للعالم المتصوفين
في خيامهم . ونستدل على هذه الكثرة بعدد من احتك بهم النبي ،
وجادلهم وجادلوه ، ونزلت عليه فيهم الايات . وقال في وصف المطر
وهو من غير المعلقة :

ديمة هطلاء فيها وطف	طبق الارض تحرى وتدر
وترى الضب خفيقا ماهراً	ثانياً برثنه . ما ينعفر
وترى الشجراء في ريقها	كروؤس قطعت ، فيها الخمر
ساعة . ثم انتحاهها وابل	ساقط الا كفاف واه منهمر
راح تمر به الصبا . ثم اتحي	فيه شؤبوب جنوب منفجر
ثج حتى ضاق عن آذيه	عرض خيم ، خفاف ، فيسر
قد غدا يحماني في انفه	لاحق الاطلين محبوبك ممر ^(١)

ولا حاجة بنا الى التذليل على البداوة والمادة في هذه الصور ، اذ
يغنيننا هذا المطر الذي عم الارض ، فشوهده الضب ساجداً لاوياً برثنه
كي لا يعلق به التراب ، وشوهدت الاشجار غائصة مغمورة ، حتى اذا
تناقص الطغيان ، ظهرت مغطاة الرؤوس بما غادره عليها من زبده كأنها
معتمة .

فاما اشتات الايات التي ترجعت عندنا ، صحتها ، وقلنا انها موزعة
على غير نظام في تفاريق القصائد المنسوبة اليه فقليله جداً ، خيرها هذه

الايات في الحرب :

الحرب أول ما تكون فتيّة

حتى اذا حميت وشبّ ضرامها

شمطاء جزّت رأسمها وتكرّرت

تبدو بزبنتها لكلّ جهول

عادت عجوزاً غير ذات حليل

مكروهة للشم والتقبيل^(١)

وقد عاناها ، وتكشفت له ويلاتها ، فوصفها بما وصفها .

وهذان البيتان في مسيره الى القيصر وطموحه الى الملك :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه

وايقن اناّ لاحقاف بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما

نحاول ملكاً او نموت فنعدرا^(٢)

وهذان البيتان في شكوى الدهر :

ذا قلت هذا صاحب قد رضيته

وقرّت به العيمان بدلت آخرها

كذلك جدّي ما اصاحب صاحباً

من الناس الا خاني وتغيرا^(٣)

(١) شعراء النصرانية جزء ١ ص ٦٢

(٢) ديوان امريء القيس ص ٤٨

(٣) = = = ص ٥٠

العيل

وهذه الايات في مرضه :

فاما تربني لا اغمض ساعةً من الليل الا ان اكب فانعسا
فيا رب مكروب كرت وراءه

وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

ويا رب يوم قد اروح مر جلاً

حبيباً الى البيض الكواكب املسا

وما خلت تبريح الحياة كما ارى

تضيّق ذراعي ان اقوم فالبسا !^(١)

وهذه الايات في غايته من الحياة :

أصبحت ودّعت الصبا غير أنني

اراقب خلّات من العيش اربعا

فمنهنّ قولي للندامى ترفّقوا يداجون نشاجاً من الخمر مترعا

ومنهنّ ركض الخيل ترجم بالقنا

بيادرن سرباً آمناً ان يفزّعا

ومنهنّ نصّ العيس والليل شامل

ييممن مجهولاً من الارض بلقعا

خَوارِجُ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوِ قَرِيَّةٍ

يَجِدُ دَنَ وَصَلًا أَوْ يَرْجِيَنَّ مَطْمَعًا

وَمِنْهُمْ سَوْفُ الْخُودِ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى

تَرَأَى مُنْظُومَ النَّائِمِ مُرَضِعًا

يَعْرِضُ عَلَيْهَا رِيَّتِي وَيَسْوئُهَا

بَكَاهُ فَتَشَنِّي الْجِدَّ أَنْ يَتَضَوَّعًا^(١)

وهنا نهم أن نختم الفصل ، وننقدم الى الكلام عن منزلة الشاعر ،

ولو لا أن الدكتور طه حسين لا يزال له علينا حق . فهو يريد أن نجيبه

كيف نظم امرؤ القيس شعره في لغة عدنان ، بل لغة قريش دون غيرها

مع أنه يمني النسب^(٢) . فنقول له أنه كان هازلاً حين سأل هذا السؤال

وإنما قصد الى معاينة الباحثين وتعجيزهم ، ولو كان جاداً لوجب عليه أن

يرفض هذا الشعر بقضه وقضيضه ، ولكنه قد قبل منه جملاً مقتضبة في

وصف الفرس والصيد شم منها ريج امرئ القيس^(٣) . فتحن نساء له

يدورنا هل قيل ذلك في لغة عرب الشمال أم في لغة عرب الجنوب ،

(١) ديران امرئ القيس ص ٨٤ . تذكر هذه الابيات بايات طرفة

من العبد :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

فمن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزيد

وتعير بوم الدجن والدجن . معجب بهيكنه تحت الطراف المعمد

(٢) في الادب الجاهلي ض ٢١٧

(٣) في الادب الجاهلي ض ٢٢٢ - ٢٢٣

ونسبح لا نفسنا ان نصارحه بتناقض واضح صدر عنه ولم يشعر . على انا
لو اغفرنا هذا التناقض للدكتور ولم نتخذ حجة عليه وعدنا نجيبه على
سؤاله ، لدفعناه بايسر مما يتصور . فهو لا شك يعلم ان امرأ القيس شمالي
النشأة^(١) ، وان اسرته رحلت الى الشمال قبل مولده بكثير ، لان بينه
وبين آكل المرار ، القائم بتلك الرحلة ثلاثة ، هم ابوه وجدّه وابو جده
فلا مجال اذن للدهشة من استعماله اللغة العدنانية . وهو لا شك يعلم ان اللغة
القريشية لم تكن تختلف عن غيرها من لغات القبائل الا بمقدار اختلاف
اللهجات ، فلا مجال اذن للدهشة من استعماله اللغة القريشية ، فضلا عن
انه لا يستطيع ان يقرر ان هذه اللغة هي قرشية صرف ، بل لا يستطيع
ان يقرر ان اللغة القريشية لم تختلط بغيرها ، والعقل بأبي ذلك بل يرفضه
رفضاً . ثم انا نخاله يعلم ان توحيد اللغتين العدنانية والقحطانية كان قد
بلغ شوطاً بعيداً في عهد امريء القيس ، لانه لا يكاد يبعد عن عهد
الاسلام الا قرناً واحداً ، ونحن نعلم ان النبي راسل مختلف القبائل وفهموا
رسائله بغير ترجمان ، ونحن نعلم ان وفوداً كثيرة من هذه القبائل اتت
النبي وبايعته ، ونحن نعلم ان القرآن فهمه جميع العرب ، فكيف تم ذلك
لو لم تكن اللغة موحدة . وهذا التوحيد لا يستغرق القرن الواحد فقط
بل القرون العديدة ، كما لا يخفى على الدكتور البصير ببطء امثال هذه
التطورات التاريخية . واذا كان قد استغرق اقل من قرن ، فاختلاف
اللغتين الذي يستغله الدكتور هذا الاستغلال الفاحش ، يجب ان يكون
طفيفاً لا يعاب به .

(١) يقول ابن رشيقي هو يما في النسب نزاري الدار والنشأ - العمدة جزء ١

٩ - منزله

وليس احق من ان تكون خاتمة درسنا الكلام على منزلة امريء القيس ، فنتفهم رأي الاقدمين فيه ، ونتفهم اين وضعوه من مصاف الشعراء ، ثم نعود الى انفسنا نستخلص له منزلة من مقاييسنا للنقد وفهمنا للشعر .

اين تلتفت ولا تجد امراً القيس ؟ افى كتب المعاني والبيان ؟ ام في كتب صناعة الشعر ؟ ندعوك اذاً الى مراجعة « الصنائع » للعسكري ، ومراجعة « العمدة » لابن رشيق ، ومراجعة « الواسطة » للجرجاني ، فسترى بعضهم يتمثل بشعره على براعة التشبيه في هذا القول المنسوب اليه :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وهذا القول :

كَانَ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا
وَارْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يَثْقُبْ

م وهذا القول :

جمعتُ ردينياً كانَ شبَّاته سنى لَهَبٍ لم يتَّصلْ بدُخان

وهذا القول :

م وليلٌ كموج البحرِ أرخى سدوله

عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليلتي

وهذا القول :

له ايطلا ظيِّ وساقا نعامةٍ

وارخاءُ سرحانٍ وثقريبٌ نتفل^(١)

وسترى بعضهم يتمثل به على أشياء من علم العروض ككثرة

التصريع في هذا القول :

تروح من الحيِّ أم تبتكرُ وماذا عليك بان ننتظرُ

امرُخْ خيامهم أم عِشْرُ أم القلبُ في اثرهم منحدرُ

وشاقتك بين الخليطِ الشُّطْرُ وفيمن اقامَ من الحيِّ هَرُ

والتسميط في هذا القول :

توهمت من هند معالم اطلال

عفاهن طول الدهر في الزمن الحالي

(١) يستشهد العسكري ، صاحب الصناعتين ، بجميع هذه الابيات ، في

فصل التشبيه من كتابه ، طبعة الازهر ، بين ص ٢٣٢ وص ٢٣٧

مرايع من هند خلت، ومصائف

يصيح بمغاياها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف

وكل مسف ثم آخر رادف

باسح من نوء السما كين هطال^(١)

وسترى بعضهم يتمثل به على سعة تأثير في الشعراء كهذا القول :

فلوان ما اسعى لادنى معيشة

كفانى ولم اطلب قليل من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثِّلٍ وقد يدرك المجد المؤثِّل امثالي

اخذه خفاف بن الغصن البرجي فقال :

فلوان ما اسعى لنفسي وحدها لئلا يسيرا و ثياب على جلدي

لأبْتُ على نفسي وأبلغ حاجتي

من المال مالٌ دون مالي الذي عندي

ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثِّلٍ

وكان ابي نال المكارم عن جدِّي^(٢)

(١) يستشهد بهذه الايات والايات التي تسبقها ابن رشيق في باب (النفقة

والتصريح من العمدة جزء ١ ص ١١٥ و ص ١١٨

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ، طبعة احمد عارف الزين

وهذا القول :

كافي لم اركب جواداً للذة ولم اربطن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخلي كرى كرة بعد اجفال
توكأ عليه عبد يغوث بن وقاص الحارثي توكؤاً ظاهراً حيث
يقول :

كافي لم اركب جواداً ولم اقل
لخلي كرى نفسي عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل
لايسار صدق عظموا ضوءاً نارياً^(١)

وهم بعد هذا موقنون بقوته على اختراع المعاني كما في هذا القول :

سموت اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالاً على حال^(٢)
وهذا القول :

وما ذرفت عيناك الا لتضربي

بسهميك في اعشار قلب مقتل^(٣)

وهم مقرون بسبقه الى ابتكارات تعلق بها من لحقه ، وانسحبوا على
ذيله فيها ، كما يستفاد من هذا الرأي المضاف الى عمر بن الخطاب ان

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه صفحة ١٥٣

(٢) العمدة لابن رشيق جزء ١ صفحة ١٧٥

(٣) العمدة لابن رشيق جزء ١ صفحة ١٨٧

أمرأ القيس سابق الشعراء ، خسف لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان
عور اصح بصير^(١) . ولو شئنا سقنا لك الكثير من اشباه هذا الرأي
المرسل ارسالاً ، وانما نمسك اشفاقاً من التطويل . ونتقدم الى رأي
آخر ، لعل معالجته اجدى على باحث الادب .

ذهبت فئة من العلماء ، وهم اليمانية ، الى ان أمرأ القيس اول الشعراء^(٢)
وواطأهم الجاحظ على انه اول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق اليه ،
والكنه خالفهم بان اشرك المهلهل بن ربيعة في اتمام هذا العمل العظيم^(٣) ،
فما هو موقفنا نحن تجاه علماء اليمانية وتجاه الجاحظ ، بل تجاه علماء الشعر
كافة ، لانا لا نحسبهم يخالفون الجاحظ في ان فن القصيدة حديث
الميلاد ، لعله لا يسبق الهجرة بمائة وخمسين سنة ، او مائتين على
الاكثر^(٤) .

لا يمكننا الا ان نرميهم بالشطط والشروء . فما كانت سنة النشو
والارتقاء التاريخي لتسمح بباء غ اقصي اشواط النمو في اسرع مرات
اللفظة . وليس بين قولنا بولد الانسان رجلاً متكامل البنية ، يسعى
لنفسه ، ويقوم بمؤنته ، وبين قولنا خلق الشعر العربي مع امرئ القيس
ولم يكن عمره غير قرن او قرنين عند ظهور الاسلام فرق . كلا القولين
دال على جهل شديد ، وكلاهما مضحك . والا فيجب ان يكون

(١) العمدة لابن رشيقي جزء ١ ص ٥٩ . وتفسيره ان أمرأ القيس فجر
للشعر ، نعمة الشعر ، وانه وان كان يتناً من ذوي المعاني العور ، فقد صار بفضل
نشأته التزارية مبصر المعاني سليمها

(٢) المزهرة للسيوطي جزء ٢ ص ٢٩٦

(٣) الحيوان للجاحظ جزء ١ ص ٣٧

(٤) = = = =

امرؤ القيس فذ العباقره اخترع الكثير من وزن القصيد اختراعاً ،
ونظم الشعر مثلاًعباً بالمعاني تلاعباً ، كل ذلك وليس لديه ما يستمد
منه سوى عبقرية ، ثم تلتها امة كانت لها عصورها المديدة الخصبه
فلم تستطع ان تزيد حرفاً على ما اتاه . الحق ان امرأ القيس لم يسلف
هذا الدين الكبير وحده ، وانما هو درجة من درجات كثيره سبقت
ولعل موضعه في راس السلم ، لانه قليلاً ما تطور الشعر العربي بعده
وقليلاً ما اتسعت آفاقه .

ولا نريد الغض من قيمته فهو ، لم يكن راس الطبقة الاولى كما
وضعه ابن سلام ، لا يزال من الملهمين الذين غنوا شيئاً من خواج
النفس البشرية ، فصوروا حنينها الى الاستمتاع بالجمال ، وادوا اصدا
هتافاتنا للطبيعة في الصحراء ، ومثلوا نخوة الشباب البدوى ، وتعلقه
بالخيل ، وتولعه بالصيد فما دامت هناك اعماق نذبض لمخدرات العذارى
وتهش كما رأت غيمة طافية تكاد تمس الارض ، او سيلاً بعيد قرار
الهدير ، او جواداً ، او صيداً فسيخلد امرؤ القيس . وسيعيش ذكره
ما عاش اثر هذه الحضارة الضخمة التي انبعثت من جزيرة العرب ،
واضاءت مشاعلها في العراق وسوريا وشمالي افريقيا والاندلس ، وازافت
الى حضارة العالم نوراً

م

١٠ - مختارات من شعره

(١) المعلقة

ننقسم معلقة امرئ القيس الى مواقف ثمانية ، مستقلة عن بعضها ،
قليلة اللحمة ، على ان كل موقف بنفسه مترابط الاجزاء ، لا يفوته
شي من شروط الوحدة . وهي :

① - وصف منازل الاخبة ، وما هي عليه من الاقفار بعدهم ، ثم
وصف رحيلهم وكثرة بكائه عليهم ، ثم تذكرهم ، والتحسر على طيب
عهدهم .

قِفَانِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ

بَسِطِ اللّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَخْوَمَلٍ

فَتَوْضَحَ فَاَلْمَقْرَأَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا

لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا

وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ

كأني غداة البين يومَ تحملوا
لدى سمرة الحي ناقدٌ حنظل
وقوفاً بها صبي عليّ مطيهم
يقولون لا تهلك اسيّ وتجمل
وإن شفاي عبدة مهراقةً فهل عند رسمٍ دارسٍ من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل
إذا قامتاً تضيوع المسكُ منهما
نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل
ففاضت دموع العين مني صباةً
على النحر حتى بلّ دمعي محلي

وهذا الاستهلال بالوقوف على الاطلال لم يشذ عنه شاعر جاهلي ،
فنحن نستطيع ان نعه ظاهرة من اقوى ظواهر الادب الجاهلي . وقد
تخير الباحث هذه النغمة والصيغة الواحدة التي تكرر وتكرر في
شئ القصائد ، وقد يحيره هذا التقيد والتقليد وقلة التوسع والتفنن .
على انه لا مجال للحيرة . فان الخيال الشعري لا يتلون في صورة
واساليبه الا في بيئة خصبة بالمشاهد الطبيعية المتلونة ، وفي حياة متعددة
الوجوه زاخرة . واين الصحراء من هذا ؟ وهج شمس الى وهج شمس ،

ومنبسطات رمال الى منبسطات رمال ، ورعيان تحل وترحل الى زعيان
تحل وترحل .

(٢) — وصف لهوه مع العذارى في محلة دارة جلجل ، وعقره
الناقة لهن ، وركوبه خارج هودج عنيزة ، ودعابه لها في الطريق ، وما
دار بينهما من الحوار

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتحمل
فضل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل
تدار علينا بالسديف صحافنا ويوتى الينا بالعبيط المثل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة

فقلت لك الويلات انك مرجلي
نقول وقد مال الغيظ بنا معا

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني عن جنائك المعلن
دعي البكر لا ترثي له من ردافنا وهاتي اذيقينا جناة المقر نفل
بشعر كمثل الاقحوان منور نقي الثنايا أشنب غير ائعمل

(٣) — وصف حوار له مع احدى عشيقاته ، وفيه شيء من الجد
والعفة في الحب ، بل من الشعور الروحاني الذي يبلغ به ان يخبرها

بالانقلات من قيود حبه اذا وجدت في خلائقه ما يسوؤها :
وبوماً على ظهر الكثيب تعذّرت

عليّ وآلت حلفة لم نحلل
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

وإن كنت قد ازمعت صرعي فاجلي
وان كنت قد ساءت لك مني خليقة

فسلي ثيابي من ثيابك تُنسل
اغرك مني أن حبك قاتلي
وأنتك قسمت الفؤاد فنصفه
وأنتك مهمات أمري القلب يفعل
فتيل ونصف بالحديد مكبل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي

بسهميك في اعشار قلب مقتل

(٤) وصف مغامرة حبية ، يدخل فيها الشاعر بعد هدأة من الليل
على مخدرة حسناء ، ويخرج بها من خدرها الى فجو واد ، حيث يأخذ
حظه من جميع محاسنها :

وبيضة خدر لا يرامُ خباؤها

تمتعت من لحو بها غير معجل

تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً

عليّ حراساً لو يسرون مقتلي

إِذَا مَا اثْرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتُ

تَعَرَّضُ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

جُثْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا

لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ

فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ مَالِكُ حِيلَةٍ

وَمَا أَنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا

عَلَى أَثْرِيَا ذَبِلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فَلَمَّا أَجْزَنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى

بَنَّا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حَقَافٍ عَقَنْقَلِ

هَصَرْتُ بِفَوْذَيَّ رَأْسَهَا فَتَمَائِلْتُ

عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رَبَّيَا الْخَلَاخِلِ

مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرُ مَفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مُصْقَوْلَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتُنْقِي بِنَظَرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَطْفَلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا يَعْطَلِ

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ اسْوَدَ فَاخِمِ

أثيث كقنو النخلة المتشكل
غدائره مُستشزراتٌ الى العلا
تضلُّ المدارى في مُثني ومُرسل
وكشح لطيف كالجدبل مخصر
وساق كأنبوب السقي المذلل
وتضحى فثيتُ المسك فوق فراشها
نوؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كانه
اسارع ظبي او مساويك إسحل
~~ككبر~~ المقاناة البياض بصفرة
غذاها نير الماء غير المحلل
تضيء الظلام بالعشاء كانها
الى مثلها يرنو الحليم صباة
تسلت عميات الرجال عن الصبا
وليس فؤادي عن هواها بمنسل
الا رب خصم فيك الوى رددته
نصيح على تعذاله غير مؤتل

٥- وصف الليل ، وكثافة ظلامه ، وشدة وطأته وعدم ترحله

وليل كموج البحر أرخى سدوله

عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازاً وناء بكل كل

الا ايها الليل الطويل الا انجل

بصبح وما الا صباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يبدل

كأن الثريا علقت في مصابها بأمراس كتان الى صم جندل

ويحسن بنا الالتفات الى شدة الخلاف الذي وقع حول هذا

الوصف لليل ، ووصف النابغة في ابياته :

كليني لهم ، يا اميمة ، ناصب ليل اقساه بطي الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأيب

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الهم من كل جانب

فقد قيل ان الوليد بن عبد الملك تشاجر مع اخيه مسلمة في ايها

اجود ، فرضيا بالشعبي حكما ، فكان حكمة بجانب امريء القيس

[خزانة الادب جزء ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣] ونحن نذهب مذهب

الشعبي ، وترى ان شاعرنا وفق الى ما لم يوفق اليه النابغة في تصوير

طول الليل وضجر النفس منه . فهناك هذا الظلام الطاغى طغيان

موج البحر ، وهناك هذه السدول المرخاة بأنواع الهموم ، وهناك هذا

الصلب والعجز والكلكل الرابضة ربوضاً ثقيلاً ، وهناك هذه النجوم
الثابتة ثبوت المشدود الى جبل بجبل وثيق ، وهناك هذه الثريا المعلقة
في مقامها بامراس تعليقاً مكيناً فهي لا تتحرك ، قل هناك هذا الهول
الشامل الممثل بصور محسوسة ملموسة لا تملك النفس الا ان تقشعر
عندها . ثم هناك هذه الهتفة القانطة بالليل ان يفسح الطريق للصباح
وكل ذلك قد قصر عنه النابغة ، ولم يأت بما يذكرك سوى بطاء سير
الكواكب ، وتزايد الهموم على صدره

(٦) - وصف الوادي المقفر ، والذئب العساوي ، وقد جاربنا
القدماء على الشك في صحة نسبته الى امرئ القيس :

وقربة اقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلولٍ مرحل
ووادٍ كجوف العير قفرٌ قطعت به الذئب يعوي كالحليع المعيل
فقلت له لما عوى ان شأنا قليل الغنى ان كنت لما تمول
كلانا اذا ما نال شيئاً افاته

ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

(٧) - وصف الفرس ، وسرعة جريه ، وشدة اكتنازه ، وقوة
صهيله ، وحسن تقاطيعه الجسدية ، ثم وصف سرب الطرائد وانطلاق
الفرس وراءه للصيد ، وظفروه ببعضه ، وقعود الشاعر الامير وحاشيته
للاكل منه :

وقد اغتدي والطير في وكنها بمنجردٍ قيدٍ الاوابد هيكل
مكرٍ مفترٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً

كجلمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من عل

كميتٍ يزلُّ اللبدُ عن حالِ متنه

كما زلتِ الصفواءُ بالمتنزل

على الذّبلِ جيّاشٍ كأن اهتزّامه اذا جاش فيه حميه غلي مرّجل

مسحّ اذا ما السابحات على الونى اثرن غباراً بالكديد المرّكل

يزلُّ الغلامُ الخفُّ عن صهواته ويلوي باثواب الغنيف المثلّقل

دريرٍ كخذروف الوليد امرّه نتابع كفيه بخيطٍ موصول

له ابطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وثقريب تتفل

ضالعٌ اذا استدبرته سدّ فرجه

بضافٍ فوق الارض ليس بأعزل

كان على المتنين منه اذا انجى

مدالك عروس او صلاية حنظل

غمنّ لنا سربٌ كان نعاجه عذارى دوارٍ في ملائ مذبل

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معمّ في العشيرة مخول

فألحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرّة لم تزيل

فعادى عداءً بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

وظلّ طهارة اللحم من بين منضج

صفيّفَ شواءٍ او قديرٍ معجلٍ

ورحنا يكاد الطرفُ يقصرُ دونه

متى ما ترقَّ العَيْنُ فيه تُسهلُ

كان دماءُ الهاديات بنحره عَصَاةُ حنّاءٍ بشيبِ مرّجلِ

فبات عليه سرجُهُ ولجامُهُ وبات بعيني قائماً غير مرسلِ

(٨) - وصف البرق والمطر والسيل على مرتفعات نجد :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حيّ مكملٍ

يضيئُ سناه او مصابيح راهبٍ امال السليط بالذبال المقتلِ

قعدت واصحابي له بين ضارج وبين العذيب ، بعد ما متأملِ

على قطنٍ بالشيم ايمن صوبه وايسره على الستار فيذبلِ

واضحى يسحُّ الماءُ حول كتيّفة

ينكبُّ على الاذقان دوح الكنهيلِ

ومرّ على القنّان من نفيانه فانزل منه العصم من كل منزلِ

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندلِ

كان ثبيراً في عرّانين وبله كبيرُ أناس في بجاد مزملِ

كان ذرى رأس المجيهر غدوة

من السيل والفتاء فلكة مغزل
والتي بصحراء الغبيط بعاهه نزول الياني ذي العياب المحمل
كان مكاي الجواء غدية صبحن سلافاً من رحيق مفلقل
كان السباع فيه غرقى عشية بارجائه القصوى انايش عنصل
وهنا لا بد ان نقول كلمة في تقدير هذه المعلاقة جملة .

فاما القدماء ، او بعض القدماء ، فلا يشكون انها كتبت بماء
الذهب وعلقت مع اخوانها في استار الكعبة [العقد الفريد جزء ٣
ص ٣٧٩] ، ولا يشكون انها لم تفضل هذا التفضيل الا بعد ان
أنشدت في سوق عكاظ ، وحكم قضاة الشعر فيه بجودتها الخارقة
[ينقل ذلك نكلسون ص ١٠١] . ونحن نتهم هذه الرواية اتهاماً
شديداً ، بل ننفىها ، لاسباب فرغ منها البحث الحديث ، وهي تلخص
اولاً : بتأخر نشوء هذه الرواية ، وسكوت المتقدمين عنها بالاجماع
مع انهم حقيقون باستغلالها لو كان لها نصيب من الصحة ، وثانياً :
بمناقضتها لروح البداوة المتمردة التي لا يعقل معها ان يخضع الشعراء ،
او ترضى قبائلهم بهذا الخضوع ، لقضاة اجانب عنهم ، وفي الامر ما فيه
من مس الكرامة [راجع نكلسون ص ١٠٢] . على انا لا نملك ان
نستنتج منها — سميها اسطورة ان شئت — نفاسة المعلقات ، او اعتقاد
القدماء بنفاستها ، ولعلنا لا نخطئ اذا زعمنا الاسطورة نفسها نتيجة
هذا الاعتقاد ، وقديماً عرفت العقلية البشرية بتجسيد ما تعتقده في
اساطير تدور على سنتها ويتناقلها الخلف عن السلف . والرأي الراجح

ان كلمة معلقة من كلمة علق ، معناه الشيء ، اضمين الكثير القيمة ،
دعي كذلك اما لان الانسان يتعلق به تعلقاً شديداً ، واما لانه يُعلق في
محل شريف او بارز الاهمية [نكسون ص ١٠١] هذا ، وقد افتن
القدماء في مدح معلقة امرىء القيس خاصة كل افتنان ، فقالوا اشهر
من « قفانبك » وقالوا « وقف واستوقف وبكى واستبكى » في بيت واحد
يعنون المطالع .

واما الدكتور طه حسين فليس يعرف قصيدة يظهر فيها التكلف
والتعمل اكثر من هذه القصيدة [في الادب الجاهلي ص ٢١٩]
واما المستشرقون فقد تباروا في الاشادة بفاخر تعبيرها ، وبديع
صورها ، وحلاوة انسجام قصيدها ، وسحر الوانها وافانينها ، واشادوا ،
فوق كل شيء ، بما اوحاها من الشعور بمرح الفتوة ومجدها [نكسون
ص ١٠٥]

فلنصرف عنا رأي القدماء ولننسه ، فان امامنا فجوة هائلة جديدة
ان تشغلنا عن كل شيء . الدكتور والمستشرقون ! اذا كان الدكتور
مصيباً ، فما هو خطب المستشرقين ؟ اهم حق بله ؟ واذا كان
المستشرقون مصيبين ، فما هو خطب الدكتور ؟ أهو فاسد الحاسة
الفنية ؟ نستغفر الله ! طه حسين شيخ المجددين في البحث الادبي فاسد
الحاسة الفنية ؟ ! لا ثم لا ، ولكن له اسلوباً في الوصول الى اغراضه من
الغربة بمكان . فقف معي نتفهمه ، ثم لا تستنكر بعد ذلك وقوعه في
مثل هذه الورطات . يعتقد ان هذا الشعر الذي نردده على انه لامرئ
القيس ليس من هذا الرجل في شيء . ويعتقد انه من افتعال الرواة ،
او ان الرواة فككوا اجزائه بزياداتهم تفكيكاً ، واخفوا حقيقته

بتبديل الفاظه اخفاء . واذن ، فيجب ان يكون هذا الشعر متعملاً
متكلفاً بقطع النظر عنه ، وليس ذلك فقط ، بل يجب ان لا يعرف
شعر يظهر فيه العمل والتكلف اكثر منه ! وهكذا يضع الدكتور
غرضاً نصب عينيه ، ثم يمضي على وجهه ، فاذا اعترضته عقبة ، فبدلاً
من ان تحمله على تلطيف رايه او تعديله ، التمس الوجوه لازالتها ،
وما اسرع ما ينجح في هذا الالتماس ، دون ان يمس رايه ولو مساً
رفيقاً ، كانه يقين ايمن ، وكان كل شيء يجب ان يخضع لتعزيزه
واظهار صحته

وبعد ، فالمستشرقون مصيرون اذ وصفوا معلقة امرى القيس بما
وصفوها .

(٢) شيء من اللامية

في اللامية مواقف ثلاثة

١ — يحبي الشاعر طلل الاحبة ، ثم ينعطف الى شيء من الشكوى
ثم يذهب في تذكر احدي عشيقاته وايامها الصالحات :
الأعم صباحاً ايها الطلل البسالي

وهل يعمن من كان في العصر الحالي
وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبیت باوجال
وهل يعمن من كان احدث عهده
ثلاثين شهراً في ثلاثة احوال

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذى الحال
الحلح عليها كلُّ اسحمٍ هطال
وتحسبُ سلمى لا تزالُ ترى طلا
من الوحشِ اوبيضاً بميشاءٍ محلال
وتحسبُ سلمى لا تزالُ كمهدنا
بوادي الخزامى او على رأسِ او عال
ليالى سلمى اذ تريكِ مقصباً
وجيداً كجيدِ الريم ليس بمعطال

٢ — وهو اخصب مواقف القصيدة واغناها ، فيه يتجسم امرؤ القيس تجسماً هائلاً بوصفه المادي ، وجهه الشهواني ، واسلوبه القصصي .
مرعان ما يستهل الشاعر بتعيير امرأة له بالتقدم في السن ، وعدم لياقة اللهو به ، حتى يمضي في تكذيبها وضرب الامثال لها على مهارته واغراقه في اللهو ، فيحدثها عن آنسة حسناء سما اليها تحت جنح الليل ، وتمتع بها واغاظ زوجها ، فهو يضمن له القتل لو يستطيع الى ذلك سبيلاً . ثم يحدثها عن عذارى ولج عليهن البيت في يوم دجن ، غير انه صرف الهوى عنهن ، لا عفة ، بل خشية من الردى ، ومن الشيخ الغيور والدهن .
وينتهي الموقف بايات قلقة في موضعها لا نظنها الا من اللامية الاخرى التي يزعم الرواة انه قالها في طريقه الى القيصر ، والتي رجحنا انهم خلطوا بينها وبين اختها ، وذلك لما تبديه من نفس رجل كان في ترف

ورخاء وآل الى خشونة وضيق ، فهو يغمض عينه في تذكر امسه ، ثم
يفتحها على يومه ، فيهتف متألماً كأنني لم انعم ولم اذق لذة :

ألا زعمت بسباسة اليوم انني

كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي

كذبت لقد أصبى على المرء عرسه

وامنع عرسي ان يزن بها الخالي

ويا رب يوم قد لهوت وليفة بانسة كأنها خط شمال

يفضي الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل فتال

كان على لباتها جمر مصطل

اصاب غضى جزلاً وكف باجزال

وهبت له ريح بمختلف الصوى صبا وشمال في منازل ذبال

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها

تميل عليه هونة غير معطال

كدعص النقا يمشي الوليدان فوقه

بما احسبا من لين مس وتسبال

الظيفة ظي الكشح غير مفاضة اذا انفتلت مرتجة غير متفال

اذا ما استحمت كان فيض حميمها

على متنتيها كالجمان الذي الحال
تنوّرتها من اذرعها واهلها
نظرت اليها والنجوم كأنها
سموت اليها بعد ما نام اهلها
فقلت سبائك الله انك فاضحي

الست ترى السمار والناس احوالي
فقلت يمين الله أبرح قاعداً
حلفت لها بالله حلقة فاجر
لناموا فما إن من حديث ولاصال
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت
هصرت بغصن ذي شماريخ مبال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا

ورضت فذلت صعبة اي تذلال
فاصبحت معشوقاً واصبح بعلمها

عليه قتام كاسف اللون والبالي
يغط غطيطة البكر شد خناقه

ليقتلني والمرء ليس بقتال
أيقتلني والمشرقي مضاجعي
وليس بذئ رمح فيطعنني به
وليس بذئ سيف وليس بنبال

وقد علمت سلمى وان كان بعلمها

بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وماذا عليه لو ذكرت اوانسا كغزلان رمل في محاريب اقوالي

ويت عذارى يوم دجن ولجته يطفن بجبأ المرافق مكسال

قليلة جرس الليل إلا وساوسا وتبسم عن عذب المذاقة ساسال

سباط البنان والعرايين والقنا لطاف الخصور في تمام وإكمال

نواعم يتبعن الهوى سبل الردى يقن لاهل الحلم ضلأ بتضلال

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى

ولست بمقلي الخلال ولا قالي

الا يجبس الشيخ الغيور بناته مخافة جنبي الشمائل مختال

يقصر عنهن الطريق وغوله قتيل الغواني في الرياط وفي الخال

كاني لم اركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخلي كرمي كرة بعد اجفال

ولم اشهد الخيل المغيرة بالضحي على هيكل نهدي الجزيرة جوال

٣ — وفيه وصف غدوة من غدوات الشاعر الامير الى الصيد ،

كغدوته في المعلقة ، الا ان تلك اغنى واغزر مادة وينتهي هذا الموقف

كالموقف السابق بابيات تقفز بالقارىء قفزاً الى لون من المعنى غريب

في غير تمهيد ولا توطي ، فلا يملك ان يعتقد انها دخيلة كغيرها من

الآيات التي المحنا إليها!

وقد اغتدي والطير في وكناتها اغيث من الوسمي رائده خال
تحاماه اطراف الرماح تحامياً وجاد عليه كل اسحم هطال
انح ...

فلوان ما اسعى لادني معيشة كفاني ولم اطلب قل من المال
واسكنما اسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل امثالي
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه

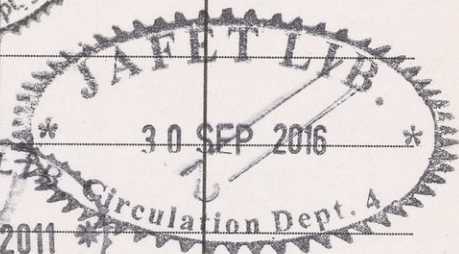
بمدرك اطراف الخطوب ولا آلي ؟

انتهى

الفهرس

	صفحه
لائحة المصادر	٥
كلمة في مصادر البحث	٨
التعريف بأمريء القيس	١٢
أسرته ومملكة كنده	١٧
قصة حياته	٢٣
تحقيق حياته	٣٠
دينه	٣٦
صحبة شعره ٦٦	٤٢
المعقول من شعره — تقديره الفني ٥٥	٥٨
منزله ٦٦	٧٥
مختارات من شعره	٨١
٨٨ { (١) المعلقة	٨١
(٢) شيء من اللامية	٩٣

DATE DUE



خوري، رائف

امرؤ القيس

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038384

A. U. B. LIBR

